

الدكتور احمد الحفناوي

أشهر الكليات الطبية في تاريخ المسلمين

بقلم الدكتور احمد الحفناوي
مدرس التاريخ الاسلامي في جامعة المنوفية

* * *

تعتبر حرفة التطبيب من اخطر الحرف ، لارتباطها بحياة الانسان ولفداحة الضرر الذي قد يصيب الحياة اذا احترفها من هو ليس اهلا لها وقد ادرك المسلمون الاقدمون خطورة هذا الوضع فبذلوا جهودهم في مراقبة هذه المهنة والعناية بالمشتغلين بها، واهتم فقهاؤهم بدراسة مسؤوليات الطبيب من وجهة النظر الشرعية ، والشروط الواجب تحققها فيمن يتصدى لها وتحديد العقوبات والجزاءات اللازمة لردع الدخلاء والمشعوذين .

كذلك عني ولاة الامور من الخلفاء والامراء والسلاطين بنشر الثقافة الطبية عن طريق ترجمة ما توارثوه عن الامم السابقة في هذا الفن وانشاء العديد من المعاهد الطبية .

وقد عرف التعليم الاسلامي نوعين من الكليات الطبية هما :

١ ـ البيمارستانات او ما يمكن ان يسمى بالكليات العملية للطب .

٢ ـ المدارس الطبية النظرية (١) .

اولا : البيمارستانات :

البيمارستان في مصطلح حضارة الاسلام ، هو المستشفى في لغة اليوم .. وكانت هذه البيمارستانات بمثابة الكليات الطبية العملية الحديثة (الاكلينيكية) . وقد اتخذ منها المسلمون كليات طب تؤدي جليل الخدمات في هذا المضمار، وكان لها على الانسانية بوجه عام والتقدم الطبي الحديث بوجه خاص فضل لا ينكر . ولقد كانت خيمة الرسول صلى الله عليه وسلم التي كانت في مسجده بالمدينة يوم الخندق اول بيمارستان في تاريخ الاسلام .. فقد جعل عليه السلام في هذه الخيمة امرأة تسمى « رفيدة » لتقوم بمداواة الجرحى وخدمة المصابين (٢) .

وان كان للمقريزي رواية تقول : ان اول من بنى البيمارستانات في الاسلام هو الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي (سنة ٨٨ هـ ـ ٧٠٦ م) حيث جعل فيه الاطباء لعلاج المرضى .. كذلك امر بحبس المجذومين واجرى عليهم وعلى العميان الارزاق (٣) .

ويقال ان كسرى الاول انشأ بيمارستان جنديسابور بخوزستان . ومدرسة طبية تابعة له ، وجلب له الاطباء والمعلمين من اليونان ، وان العرب منذ قبل الاسلام كانوا يعرفون الكثير عنه واستمدوا اطباءهم منه ، وقد تخرج فيه « الحارث بن كلدة » وابنه النضر وكان ابن اثال الطبيب النصراني الجنديسابوري طبيب معاوية بن ابي سفيان وابي الحكم وحكم الدمشقي وتياذوق وغيرهم من الاطباء الذين عملوا به .. وقد عمل اثنا عشر طبيبا من اطباء جنديسابور اشهرهم جرجيوس بن بختيوشع واولاده في خدمة العباسيين .

ويرى بعض الباحثين ان هذه المدرسة على الرغم من قدوم بعض الاطباء منها الى الشام وبعض اجزاء شبه جزيرة العرب لم يكن لها اثر واضح في قيام مدرسة طبية خلال عصر الامويين .. ولكن العناية بها لم تبدأ الا في اوائل حكم بني العباس .. فقد رأينا الخليفة ابو جعفر المنصور في سنة ١٤٨ هـ يستشير عميد اطباء تلك المدرسة وكان جرجيوس بن بختيوشع ، ويدعوه الى بغداد وبقيت اسرة بختيوشع طوال ثلاثة قرون تتمتع بنفوذ ومكانة لدى الخلفاء، وكان آخر ابناء هذه الاسرة هو علي بن ابراهيم بن بختيوشع الذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (٤).

وقد استمرت مدرسة جنديسابور تتمتع بأهمية خاصة الى ان هجرها كبار اطبائها الى بغداد بحثا عن الشهرة والمكانة في قصور الخلفاء والوزراء وغيرهم من اصحاب النفوذ في العصر العباسي .

ومن الامور الواضحة ان البيمارستانات لم تتخذ جميعا في هذه العصور مجالا للتعليم ، بل ان بضعها كان

دوره علاجيا فقط ، وسوف اتناول في هذا البحث المتواضع بعض البيمارستانات التي كان لها شهرة في ميدان التعليم الطبي عند المسلمين .

بعض البيمارستانات في عالم الاسلام

لم يصبح للبيمارستانات اهمية حقيقية الا في العصر العباسي ، ولم يكن اهتمام الامويين بالمنشآت التعليمية قويا نظرا لغلبة البداوة على الدولة .. يضاف الى ذلك ان البيمارستانات التي اسست في النصف الاول من الدولة العباسية ينتاب تاريخها الابهام والغموض « فنحن لا ندري ما صار اليه بيمارستان الرشيد الذي انشاه سنة ١٧١ هـ (٧٨٦ م) في بغداد وحتى اوائل القرن الرابع الهجري لا تكاد تسمع عن اي منشآت طبية أخرى فيما خلا بيمارستان انشاه بدر مولى الخليفة المعتضد في القرن الثالث ولعل السبب في ذلك انتقال العاصمة الى سر من راى التي اصبحت مركز الخلفاء (٥) .

وفي اوائل القرن الرابع الهجري يشير سنان بن ثابت على الخليفة المقتدر بالله العباسي ان يتخذ بيمارستانا ينسب اليه فامره باتخاذه فاتخذه له في باب الشام من محلات بغداد سنة ٣٠٦ هـ ، وكان ينفق عليه في كل شهر مائتي دينار .. واسماه :

١ ـ البيمارستان المقتدري :

ولقد خدم في هذا البيمارستان عدد من مشاهير الاطباء منهم : يوسف الواسطي الطبيب وجبريل بن عبيد الله بن بختيوشع الذي لازم العلاج والتعليم به وتوفي سنة ٣٩٦ هـ وكان قد اقام ببغداد قبل ذلك ثلاثين سنة (٦) .

٢ ـ البيمارستان العضدي ببغداد

انشاه عضد الدولة بن بويه سنة ٣٦٨ هـ (٩٧٨ م) ، وتم افتتاحه في صفر سنة ٣٧٢ هـ ، وكان في القطاع الغربي لبغداد ، وقد اقام فيه الوكلاء والخدم ونقل اليه العقاقير وجعل فيه اربعة وعشرين طبيبا منهم ابو الحسن علي بن ابراهيم بن بكس الذي كان يدرس الطب فيه ، وكان يجيد الترجمة عن السريانية وابو الحسن علي بن كشكرايا ، وكان اول امره في خدمة سيف الدولة الحمداني ونظيف الرومي، وكان ينقل عن اليونانية الى العربية وابو الفرج بن الطيب وكان فيلسوفا عني بشرح كثير من كتب ارسطو في المنطق وكتب جالينوس في الطب ، وكان يدرس الطب في هذا البيمارستان وهو معاصر للشيخ الرئيس بن سيناء ومن تلاميذه : المختار بن الحسن وابن بدروج والهروي وغيرهم من اعلام الطب في الاسلام ، وتوفي سنة ٤٣٥ هـ .

ومما هو جدير بالملاحظة انه قد قام بادارة هذا البيمارستان على التعاقب جماعة من الاطباء غير المسلمين منهم ابو الحسن بن سنان بن ثابت بن قرة الصابي ، وامين الدولة بن التلميذ المتوفى سنة ٥٦٠ هـ ، وابو بكر بن المارستانية المتوفي سنة ٥٩٩ هـ .

ويتضح من هذه القائمة مقدار عدم التعصب الذي كان سائدا في ذلك العصر (٧) ويعتبر هذا البيمارستان من اكبر الكليات الطبية في بغداد .. كذلك فانه ظل باقيا حتى الغزو المغولي سنة ٦٥٦ هـ ، فأصبح أثرا بعد عين وبعد ان خرج مجموعة عديدة من مشاهير الاطباء كان لهم مكانا للتعلم والعمل .

٣ ـ البيمارستان المنصوري الكبير بالقاهرة

انشاه الملك المنصور سيف الدين قلاوون من ملوك المماليك البحرية ، وقد تسمى ايضا بمارستان قلاوون كما اطلق عليه : دار الشفاء ..

ويذكر المقريزي : « انه في سنة ٦٨٣ هـ نجزت عمارة المارستان الكبير المنصوري والمدرسة والقبة ، ولما كملت عمارته وقف السلطان عليه من املاكه القياسر والرباع والحوانيت والحمامات والفنادق والاحكار وغير ذلك من الضياع بالشام ما يحصل ريعه غلات كثيرة في كل شهر ، وجعل اكثر ذلك على البيمارستان ثم القبة ، ولما تم ذلك ركب السلطان اليه وجلس به واعلن انه اوقفه على الملك والملوك والكبير والصغير والحر والعبد والذكر والانثى . وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ، ومن مات جهز وكفن ودفن ، ورتب فيه الحكماء بأنواعهم المختلفة والفراشين لخدمة المرضى وخزائن وصيدليات للادوية التي توزع بالمجان على المرضى ... وجعل فيه مكانا لالقاء محاضرات في الطب ينتفع بها الطلبة واباح للمرضى في بيوتهم ان يطلبوا الدواء من البيمارستان ونظم ادارته تنظيما دقيقا بارعا (٨) .

لقد كان هذا البيمارستان اعظم الكليات الطبية وايضا المستشفيات خلال العصور الوسطى في مصر .. ولا شك في ان وجود مثل هذه المؤسسات الصحية والتعليمية والاجتماعية في هذا العصر وعلى هذا المستوى ليدعونا الى الاعزاز والاعتزاز بهذه الحضارة المثمرة .. الحضارة الاسلامية .

لقد كان هذا الرقي العظيم نتيجة طبيعية لما كان يحرص عليه الحكام في هذه المرحلة من التاريخ من العمل على زيادة دخل الرعية عامة حتى تمتع العامة والخاصة بدرجات متقاربة من رفاهية الحياة .

ولما عين مجلس الشرع الشريف بالقاهرة الامير عبد الرحمن كتخدا ناظرا على وقف المنصور قلاوون ، جدد الامير في سنة ١١٧٥ هـ البيمارستان المنصوري والمدرسة، وممن قاموا بالتدريس فيه :

١ ـ الشيخ ركن الدين بن القويع التونسي الاصل ، المولود في سنة ٦٦٤ هـ ، وكان رجلا واسع الثقافة يجيد

الحديث والاصول والفقه والادبواللغة والعروض والشعر، اضافة الى الطب وكان يعتمد كثيرا في تدريسه على كتاب الشفاء لابن سينا وقد توفي سنة ٧٣٨ هـ .

٢ ـ عمر بن منصور بن سراج الدين البهادري القاهري الحنفي ، المولود سنة ٧٦٢ هـ ، وكان يشتغل بالفقه والعربية والطب وقام بتدريس الطب ايضا في جامع بن طولون وتوفي سنة ٨٢٤ هـ .

٣ ـ عبد الوهاب بن محمد الشاوي القاهري ، المولود بالقاهرة سنة ٧٦٦ هـ ، وكان طبيبا في امراض العيون ومحبا لطلابه خيّرا ذا ثروة لا ينتفع الا بالقليل منها ، وينفق ما تبقى في اوجه الخير وتوفي سنة ٨٥١ هـ .

٤ ـ مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري الطبيب وكان رئيسا للاطباء بدار الشفاء ومشيخة الطب بعد شهاب ابن الصائغ في مصر ، وقد الف : قاموس الاطباء وناموس الالباء في المفردات ، ويرجح انه كان لا يزال على قيد الحياة سنة ١٠٤٤ هـ ، ولا يعرف تاريخ وفاته .

٥ ـ الشريف السيد قاسم بن محمد التونسي ، وقد تولى تدريس الطب بالبيمارستان ومشيخة رواق المقاربة بالازهر مرتين ، وقد توفي سنة ١١٩٣ هـ (١٧٩٧ م) ... وهو يعتبر آخر اطباء واساتذة البيمارستان المنصوري .. حيث أهمل هذا البيمارستان بعد وفاته (٩) .

ثانيا : المدارس الطبية النظرية :

مما لا شك فيه ان الطب كان يدرس نظريا في العديد من المعاهد كالمساجد التي كانت تدرس بها كافة العلوم الدينية والانسانية ما دامت لا تتعارض مع تعاليم الاسلام ، وقد ذكرنا آنفا ان عمر بن منصور البهادري المتوفى سنة ٨٢٤هـ كان يدرس الطب في جامع ابن طولون كذلك قام عبد اللطيف البغدادي بهذه المهمة في الجامع الازهر منذ اواخر سنة ٥٨٢ هـ .. وكان يستمر في مهمته من اول النهار الى الساعة الرابعة ووسط النهار .. واذا جاء الليل كان يحضر للقيام بهذه المهمة بدلا عنه قوم آخرون .. ويذهب هو للقراءة والمطالعة لنفسه (١٠) .

وكذلك كان محمد بن عبد الله المصري المتوفي سنة ٧٧٢ هـ يقوم بتدريس هذا العلم بالجامع الطولوني .

ولا يفوتنا ان نذكر في هذا المجال ان الطب ـ في هذا العصر ـ كان من العلوم الفلسفية او الحكمية .. حيث كان يقصد من هذه العلوم آنذاك كافة العلوم المادية والعقلية .

كان الكثيرون من الفلاسفة يهتمون بدراسة الطب ، فالفارابي تعلمه وان كان لم يمارسه اما ابن سينا فقد ذاعت شهرته فيلسوفا وطبيبا .

ولما كانت الحكومات الاسلامية السنية لا ترغب في دراسة الفلسفة فقد حرمت الدراسات الفلسفية من التشجيع والعناية .. فلجأ المشتغلون بها الى تدريسها في منازلهم لمن يرونه محبا للفلسفة .. وكان من الطبيعي ان تتخلل هذه الدراسة دروس في الطب النظري اي انها كانت بمثابة نوع من التعليم الخاص ، على ان البيئات الشيعية من العالم الاسلامي شهدت معاهد للثقافة الفلسفية . وظلت الدراسة الطبية النظرية تتوزع بين المساجد والدروس الخاصة حتى ظهرت المدارس وكان لها اثرها الكبير في تطور تدريس الطب ، فظهرت مدارس طبية على غرار المدارس الفقهية ومدارس الحديث ، وان كانت قليلة حيث لم تنل الانتشار الذي لقيته مدارس الفقه والحديث « ولعل ذلك راجع الى ان الطب من العلوم التجريبية التي لا تصلح امثال تلك المعاهد لدراسته دراسة علمية صحيحة ، ولذا ظلت البيمارستانات هي الكليات الطبية المفضلة » (١١) ، وكان منشا هذا النوع من المدارس الطبية في بلاد الشام ولا يكاد الباحث يجد لها وجودا خارج الشام .. واهم مدرسة طبية نظرية فيه هي :

المدرسة الدخوارية بدمشق

اسسها الشيخ الامام مهذب الدين ابو محمد عبدالرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار الذي ولد ونشا بدمشق ، « كان طبيبا لامراض العيون (كحالا)، واستاذا بالبيمارستان الكبير النوري وتتلمذ عليه العديد من الاطباء الدمشقيين وقد جعل داره مدرسة للطب ووقف ضياعا واماكن عديده وتوفي في صفر سنة ٦٢٨ هـ ، وقد تم افتتاح الدراسة الدخوارية في ١٢ ربيع الاخر سنة ٦٢٨ هـ (١٨ فبراير سنة ١٢٣٠ م) فحضر الحكيم سعد الدين ابراهيم بن عبد العزيز والقاضي شمس الدين الخوايتمي والقاضي جمال الدين الخورستاني والقاضي عز الدين السيخاري ومجموعة من العلماء والفقهاء والحكماء ، وقام بتدريس الطب فيها الحكيم شرف الدين ابو الحسن الرحبي واستمر في اداء هذا العمل سنين وتوفي سنة ٦٦٧ هـ .

هذا وهناك العديد من الحكماء الذين قاموا بالتدريس في هذه المدرسة بعد الرحبي ، نذكر منهم :

الحكيم بدر الدين المظفر بن قاضي بعلبك الذي كتب له منشور من قبل الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين ممدود بن الملك العادل برياسته على سائر الحكماء في صناعة الطب وتعيينه مدرسا للطب في مدرسة الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المعروف بالدخوار سنة ٦٧٧ هـ .

ومنهم ايضا عماد الدنيسري ومحمد بن عبد الرحيم ابن مسلمة كمال الدين الطبيب المتوفي (سنة ٦٩٧ هـ) ، وعز الدين بن السويدي الذي كان يتقن العربية ويجيد الشعر ايضا الى جانب قيامه بتدريس الطب في هذه المدرسة (١٢) .

هذا وقد اثبت نوبرجير وهو مؤرخ لعلم الطب : ان تنظيم المستشفيات هو احد المستحدثات الجميلة للثقافة

الفَـــرَاغ

.. من انت ؟ لا طيب ولا امل ... ملل تثاءب ملاه الملل
شكوى من الدنيا ونعمتها ... وشجى ثقيل الوقع متصل
الورد في كفيك مكتئب ... والضوء في عينيك معتزل
ماتت على شفتيك ذابلة ... في صمتها الاحلام والقبل
تلك الخلايا جف ملمسها ... لا شمعها شمعا .. ولا العسل
يا غرسة ما اثمرت ثمرا ... يا فكرة اعيا بها الجدل
غنيت باسمك فانزوى نغمي ... حيران ضاقت دونه السبل
ذاك المر حسبته طللا ... في الدمع يطفو فوقه طلل
ركد الخيال على جوانبه ... كالعنكبوت اصابه الشلل
حركته فانهال في شجن ... وتركته فخبا به الكسل
هذا الفراغ كانه جمل ... لا تنتهي .. تفنى بها الجمل
.. وامر في عينيك .. لا صور ... تزهو .. ولا رؤيا .. ولا امل

الياس خليل زخريا

الاسلامية (١٣) . ولم ينس العباسيون ان يدعوا الى عقد المؤتمرات الطبية التي كان يجتمع فيها الاطباء من كافة البلاد في موسم الحج حيث يعرض الاطباء نتائج ابحاثهم ، ويعرضون نباتات البلاد الاسلامية ويصفون خواصها الطبية واصبحت بغداد في الشرق من اهم مراكز الثقافة الطبية (١٤) .

وهكذا يتضح ان العرب والمسلمين كانوا يحتلون مكانا مرموقا في ميدان التعليم والثقافة الطبية ، وظلوا على راس المعرفة الطبية قرابة نصف قرن .

(١) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى: ص ١١٧ .

(٢) احمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الاسلام : ص ٩ .

(٣) المقريزي : ج ٤ ص ٢٥٨ – ٢٥٩ .

(٤) د. عبد الرحمن بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية .. ص ٥٦ ، نقله عن : مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد .

(٥) احمد عيسى : نفس المرجع ص ١٧٨ .

(٦) احمد عيسى : نفس المرجع ص ١٨٣ ، محمد عبد الرحيم غنيمة ، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ، ص ١٢١ .

(٧) د. عبد الرحمن بدوي : نفس المرجع ص ٩٢ ، نقله عن مايرهوف ، نفس المصدر .

(٨) المقريزي : نفس المصدر ، ص ٩٩٨ ، محمد عبد الرحيم غنيمة ، نفس المرجع ص ١٢٢ .

(٩) احمد عيسى ، المرجع نفسه ، ص ١٦٦ ، محمد عبد الرحيم غنيمة ، المرجع نفسه ص ١٢٥ .

(١٠) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٤٧٥ .

(١١) محمد عبد الرحيم غنيمة : المرجع نفسه ص ١٢٦ .

(١٢) احمد عيسى : المرجع نفسه ص ٤٠ – ٤١ ، محمد عبد الرحيم غنيمة ، المرجع نفسه ص ١٢٨ .

(١٣) جاك . س. ريسلر : الحضارة العربية ص ١٩٦ .

(١٤) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي : ج ٢ ص ٢٥٠ .

جامعة المنوفية – مصر ... احمد البهي الحفناوي

جئت في موكب من الخلد ضافٍ

لشاعر الاهرام
محمد عبدالغني حسن
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

القصيدة التي نظمها الشاعر لتلقى في المؤتمر العالمي للحضارة العربية الاسلامية بدمشق

صانك الله يا دمشق الحضاره … جاءك الشعر باسطا اعتذاره
ليت شعري ! أفي رحابك مهوى … لمشوق ؟ ام فسحة لزياره
شكر الله من اتاح لعودي … ان يندي ما بينكم اوتاره
سفرتني اليك مصر فاضحيـ … ـت سعيد الخطا بتلك السفاره
انت اوليتني من الفضل ما لا … يبلغ الحمد والثناء قراره
لي في المهرجان مقعد صدق … انا ـ والله ـ حامد آثاره
ان يكن خانني التدفق في الشعـ … ـر فما زلت احمل القيثاره
فليخني القصيد ! ان اجتماع الشـ … ـمل لهو القصيدة المختاره

يا حمى طبت في ذراه واحمد … ت على وحشة الطريق جواره
جئت في موكب من الخلد ضاف … اتخطى (الاهرام) او (سقاره)
في جلال من (الفواطم) طورا … وجمال من (الفراعين) تاره
فاتح (القدس) عن يميني.. وخلفي … وشمالي جيوشه الجراره
والنواصي من (آل ايوب) زحفا … و (المماليك) سلطة وامارة
وامامي على الطريق اليكم … كل امجاد امتي القهاره

جئت من قمة (المقطم) اجلو … (قاسيونا) ، وبابه ، ومزاره
وارى المجد عالقا بثراه … والحضارات تستثير غباره
وارى الدهر عاكفا في وقار … مليا من جلالكم اسفاره

ايها المسعفي بالود ! شكرا … ان رددتم الى ودادي اعتباره
شهد الله ما جفوت .. ولكن … قد قضى الله بيننا اقداره
يا ديارا ودعتها ... وبرغمي … كيف ينسى الحر الكريم دياره
لا تزالين للمفاخر ركنا … يا دمشق العلا ، وللعز داره

كل عام لنا اليكم سبيل … تشتهى قطوفه وثماره
خاب من ظن واهما في اختلاف الر … اي بابا الى الخلاف وشاره
جئت في المهرجان احمل وجها … عربيا قد جملته النضاره
اسكب العطر بينكم من روايا النـ … ـيل يهتز روضة معطاره
(بردى) يجتليه موقع غيث … ويصافيه مزنة مدراره
حاملا نحوكم من (المجتمع الخا … لد) احلى ود ، واصفى عباره
لغة الضاد وحدت مجمعينا … فهي خمر على الشفاه مداره

مصر والشام من قديم بناءا … ن استطالا مآثرا وجداره
حملا راية العروبة والاسلام … في حكمة وحسن اداره
فالثقافات منهما مستقاة … والحضارات منهما مستعاره
وهما في غد على حلك الدر … ب يشقان فجره ونهاره
قد حملنا المجد القديم انتصافا … واقتسمناه مكسبا وخساره

ومشينا على طريق المعالي … خطوات فسيحة جباره
ونصبنا للساكنين دروبا … واقمنا للحائرين مناره
والحظوظ التي اديرت علينا … هي بالناس دائما دواره

انا في المهرجان استلهم الشعـ … ـر لازجي عواطفي الفواره
في قيود (الخليل) احترم القيـ … ـد ، ومن فنه اخوض بحاره
مرحبا بالجديد ان كان شيئا … لا يضيع القديم او مقداره
قد حفظنا تراثنا .. فحفظنا … رفرف المجد كله واطاره
من يضيع امسه اضاع بحق … غده الحلو ، بل اضاع ذماره



الدكتور محمد رجب البيومي

من أدب ابي حيان التوحيدي

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

اعرف استاذا كبيرا غزير المعرفة نافذ البصر قوي الملاحظة ، تحدث الي فيما يود ان يقرأ في ساعات صفائه ، فقال انه يطمح الى تلاوة نوع من الادعية البليغة، تكون مناجاة ضارعة يتقدم بها بين يدي ربه ، اذ انه قرا كثيرا من الابتهالات الذائعة ، فوجدها تعبر عن احاسيس البسطاء وقد كتبت بلغة اقرب الى الضعف منها الى القوة فهي لا تهزه وجدانيا كما تهز من يحفظونها من عامة الناس لذلك يتجه بالبحث عن ابتهالات ذات روعة ونفاذ .

قلت ان الذين يضعون الادعية الدينية يعلمون ان العامة من المسلمين يجدون فيها تنفيسا عن اشواقهم ومواجدهم ، ولن تصادف موقعها من هؤلاء الا اذا كتبت بلغة سهلة وتضمنت عواطف واضحة وحفلت بخواطر وثيقة الصلة بأحاسيسهم الصريحة ، فما تريده انت من بلاغة النسج ، وعمق النظرة ، لا يجد مكانه من قبول الكثرة الداعية ، فاذا شئت لك ابتهالا لايخضع لمثلك الادبية فحاول ان تضع له انموذجا من بيانك فتستريح .

قال صاحبي في تواضع لا اريد ان تفهم عني جنوحا الى الترفع او المباهاة فيعلم الله ان هذا الترفع من امقت ما اكره من الصفات ، ولكن مناخي العقلي وافقي الروحي يأبيان علي كلاما ألمح فيه جوانب الضعف الادبي ، وانا بحاجة الى ابتهال بياني يشبع نوازعي ويرضي اشواقي انا مثلا مسلم واع ذو ثقافة متسعة ، واجد لدي جنوحا الى قراءة الاسلاميات في كل اتجاه من تشريع وسيرة وعقيدة وتاريخ وتراجم وما اكثر ما كتب في هذه الحقول المترامية الفيحاء ، ولكن نمطا خاصا من الكتابة الاسلامية يملأ عقلي نورا وقلبي نفاذا وبصيرة ! ذلك النمط اجده لدى القمم الفكرية من امثال عباس محمود العقاد افملوم انا ان اعرضت عن ذوي السطحية الهينة وعشقت ذوي الاعماق والاغوار !

قلت كلا يا اخي فكل ميسر لما خلق له ، واذا كنت تنشد النفاذ البصيرة من الابتهالات والنصاعة البليغة في الادعية فان حاجتك لدى ابي حيان التوحيدي .

اشرق وجه محدثي . وكأني ذكرته بعزيز اثير لدى عقله وروحه فطفق يقول :

اذا كتب ابو حيان في الابتهالات الدينية فما اظن كاتبا عربيا في عصره الزاخر بالاعلام يدنو من مستواه ، لقد كان الرجل زعيم الفكر العربي في عصره ، ولكنه كان مجحود النعمة محسود الموهبة فلقي من محن العداوة ، وغطرسة التكبر ، واستعلاء الادعياء ما صير حياته جحيما لا يطاق .

قلت وذلك السر الاول في روعة ابتهالاته وقوة ادعيته لقد سدت عليه منافذ الارض فاتجه الى أبواب الرحمة في السماء ! ما ظنك بأكبر مفكر في عصره ، تسد في وجهه ابواب الرزق ، وتقام دون ضروريات الحوائل حتى يصرخ من اعماقه قائلا في فزع الحائر ولهفة المستجير .

« لقد فقدت كل مؤنس وصاحب ، ومرافق ومشفق، والله لربما صليت في الجامع فلا ارى الى جانبي من يصلي معي ، فاذا اتفق فبقال او عصار او نداف او قصاب ، ومن اذا وقف الى جانبي أسدرني بصنانه ، وأسكرني بنتنه ، فقد امسيت غريب الحال ، غريب اللفظ ، غريب الخلق ، مستأنسا بالوحشة ، قانعا بالوحدة ، ملازما للحيرة محتملا للاذى يائسا من جميع من ترى .

ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في اوقات كثيرة الى اكل الخضر في الصحراء والى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة والى بيع الدين والمروءة والى تعاطي الرياء والنفاق والى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الالم » .

قلت ذلك واستشعرت ذلة النابغة المضطهد فوجمت وشملني اكتئاب لحظه محدثي فاراد ان ينقلني من حالة الى حالة ، فقال الا تحضر لنا شيئا من ابتهالاته اذ كانت فاتحة

الحديث ومدار النقاش .

وكأن كلامه قد حرك نشاطي ، ودفعني الى ان اسرع باحضار « الاشارات الالهية » للنابغة البائس ، وان اقرأ منه كما اتفق قوله : « اللهم انا نسألك ما يسأل ، لا عن ثقة ببياض وجوهنا عندك، وافعالنا معك، وسوالف احساننا قبلك ، ولكن عن ثقة بكرمك الفائض وطمعا في رحمتك الواسعة نعم وعن توحيد لا يشوبه اشراك ، ومعرفة لا يخالطها انكار ، وان كانت أعمارنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة ، نسألك الا ترد علينا هذه الثقة بك ، فتشمت بنا من لم يكن له هذه الوسيلة اليك ، يا حافظ الاسرار ، ويا مسبل الاستار ويا واهب الاعمار ، ويا منشيء الاخبار ، ويا مولج الليل في النهار عد علينا بصفحك عن ذنوبنا ، وانعشنا عن تتابع صرعاتنا ،وحطة حالنا معك في اختلاف سكراتنا وصحواتنا وكن لنا وان لم نكن لانفسنا لانك اولى بنا ، واذا خفنا منك فابرح خوفنا برجائنا فيك، واذا غلب علينا يأسنا منك ، فتلفه بأمل فيك » . الى ان يقول في حرارة عاطفة وقوة ايمان « حرام على قلب استنار بنور الله ان يفكر في غير عظمة الله ، حرام على لسان تعود ذكر الله ان يذكر غير الله ، حرام على نفس طهرت من ادناس الدنيا ان تدنس بشيء من مخالفة ، حرام على عين نظرت الى مملكة الله ان تحدق الى غير الله ، حرام على من تلذذ بمناجاة اله ان يناجي غير اله ، حرام على من وقع في فمه الله ان يعبد غير الله » (1) .

طرب الاستاذ لما سمع طربا امتع عقله وملأ وجدانه ، فقال انه ينشد امثال هذه الروائع اذ جمعت مع نضارة البيان قوة الفكر وحرارة العاطفة ، والتوجه بالسؤال عن ثقة بكرم الله، لا ثقة بمنزلة الداعي تفريق بين وجهين مختلفين والخوف من رد هذه الثقة مجلبة لشماتة قاسية يأباها المبتهل ، وقوله كن لنا وان لم تكن لانفسنا لانك اولى بنا اعتراف نفسي جدير بالقبول ، أما هذا التكرار المشبع في قوله حرام حرام حرام على اختلاف مدار المعاني وتنوع مجال الخواطر ، فمن أنفس ما تشرئب له نفس المؤمن المبتهل اشرئبابا يريح من برح سعيره ويهدىء من لواهب خوفه ويمد امامه بساط الامل مخضوضر الجناب عبق الرحاب !

سمعت هذا التحليل الكاشف من الاستاذ فدفعني الى ان اقول : ان صاحب هذه الابتهالات الحارة قد رمي بالزندقة وصيغت حوله الاراجيف ، وما ارتاح بعد وفاته من ملدمة اللائمين اذ ظلت هذه التهمة تتقاذف سمعته على السنة اعلام كبار ساعدوا على اذكاء الضرام وامتداد الحريق فما تقول في ذلك ؟

قال صاحبي متندا ان الاتهام بالزندقة ان جاز لاحد ان يفتريه في القديم كي تصدقه العامة دون تمحيص ، فما يجوز الآن ان يوجه الى متدين ورع زاهد كأبي حيان ، والدليل على ذلك صريح لا يحتمل اللبس ، فقد قرانا من كتبه العديد الكثير فلم نجد في سطر واحد ما يؤخذ عليه ، بل وجدنا دفاعا حارا عن العقيدة ، ودعوة طيبة الى اسمى الفضائل وولوعا بالمثل العليا في العلم والسياسة والسلوك أيكون الرجل زنديقا ثم يكتب هذه الروائع الخالدة في باب الابتهال ؟ أيكون الرجل زنديقا ثم تكون له هذه الحرارة المتقدة في الدفاع عن المثل العليا ومكارم الاخلاق ، أيكون الرجل زنديقا ثم لا تند منه فيما اثر من مؤلفاته كلمة مريبة ، او غمزة مشبوهة ؟ ان كتب الرجل دليل قلبه ومفتاح شعوره ، وثمار تفكيره فاذا نطقه اجمل النطق وافصحه بما ينبيء عن ايمان القلب وطهارة الشعور واستواء التفكير فذلك كله صباح ينسخ ما تجمع من ظلام، وشمس تبدد غواشي الضباب !

ثم استطرد يقول : قد يكون ابو حيان ، وفي كتاب المقابسات بنوع خاص - قد تعرض الى سرد بعض الاقوال الفلسفية الشاذة التي تدور حول الكون والطبيعة والمبدأ والمآل ولكن هذه الاراء ليست له ولم تذكر عن وحيه بل انها تنسب لاصحابها ليرد عليها الكاتب او من يجمعهم المجلس العلمي من اساتذة ابي حيان وزملائه ، وليس شيء في ان تذكر رأي المعارض ثم تكر عليه بالدليل، وهذا القرآن الكريم موضع القدوة ومناط الاحتذاء قد ذكر آراء المشركين والدهريين والضالين ليرد عليها باقوم حجة وأنصع بيان ولكن اعداء ابي حيان قد عز عليهم ان يسبقهم في غزارة المادة ورصانة التفكير وعلو التحليق وبعد الغوص فما استطاعوا ان يسابقوه في مضماره الادبي السامق فهبوا ينسجون الاراجيف ، لقد كنت اتمنى ان يفرغ قلم كقلم ابي حيان لصياغة ابواب التشريع بما عرف من اقتداره وغوصه وارتفاعه واتساع اقطاره ! فيكون لنا منه ادب حي مستنير يقرا كما تقرا ارفع النماذج الادبية بيانا ، واقواها تعبيرا ، لقد قرات له كلاما عن تحريم الخمر نسبة الى غيره كعادته مع ان الصياغة صياغته والحوك حوكه ، لا يمتري في ذلك عارف طريقته ورواد منهله ! قرات حديثه عن تحريم الخمر فتمنيت لو أتيح للرجل ان يكتب في ابواب التشريع بهذه الجهارة الجهيرة وهذا الرسوخ المتمكن وذلك التحليل الآسر المبين ، لقد قال ابو حيان فيما قال في ذلك واني لاحفظ حفظا فما تند عني لفظة تغيب .

قال ابو حيان والصوغ له وان نسبه الى ابي سعيد « اعلم انه لو كان المسكر حلالا في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان يجب على العاقل رفضه بحجة العقل والاستحسان فان شاربه محمول على كل معصية ، ومدفوع الى كل بلية ، ومذموم عند كل ذي عقل ومروءة ، يحيله عن مراتب العقلاء والفضلاء ويجعله من جملة السفهاء ومع ذلك فيضر بالدماغ والعقل والكبد والذهن ، ويولد القروح في الجوف ، يسلب شاربه ثوب الصلاح والمروءة

لاتنبت الحسنى سوى الحسنى

احسان ظنك بالانام فضيلة ... حسناتها تدنيك من حد السما
ان كنت تشكو من اساءة صاحب ... ما كان يقصد منك ان تتالما
فلكم اسات اليه انت ولم يلم ... وابت نبالة وده ان تعلما
والناس فيهم الف الف حمامة ... ان كنت بينهم تعاين ارقما
ولقد يكون الماء سيلا جارفا ... تعني نتائجه الدمار مجسما
ويكون ينبوعا يجود برفده ... فيطيب انماشا ويخصب موسما
واذا دخلت الروض فاترك شوكه ... وانشق عبير زهوره كي تنعما
واصغ الى تغريد بلبله ولا ... تنظر الى حشراته متبرما
واذا فرضت على سواك عداوة ... تبريرها سبب ترجح مبهما
الزمته ان يتقيك بمثلها ... ففدا بلا داع عدوك مرغما
ان كنت ترثي للبريء يئن من ... جرح عراه حين واجه مجرما
او ما ترى بالقرب منه معزيا ... وحياله آس يعد المرهما
وهب الانام كما ظننت فكن لهم ... عرسا يطيل سرورهم لا ماتما
والشك مثل الذئب اذ آويته ... ان جاع ، من انيابه لن تسلما
ولقد يعود عن القساوة غاضب ... قابلته متلطفا متبسما
كم قاتل ان تلقه بتعطف ... القى اليك سلاحه مستسلما
هيهات يندم راحم متهلل ... ولكم تندم من قسا وتجهما
ومتى جبهت الحانقين برافة ... فجفاؤهم لا بد ان يتصرما
لاتنبت الحسنى سوى الحسنى ولا ... تهب الظنون سوى التشاؤم مغنما
ان كنت تعتبر الانام ابالسا ... امست حياتك بالشقاء جهنما

بوانس ايرس ـ الاجنتين — الياس قنصل

والمهابة ، حتى يصير بمنزلة المخبط المخربق ، يقول بغير فهم ويأمر بغير علم ويضحك من غير عجب ، ويبكي من غير سبب ، يخضع لعدوه ، ويصول على وليه ، ويمنع من يستحق الصلة ويبتذر في الموضع الذي يستحق فيه ان يمسك ، ويمسك في الموضع الذي يستحق فيه ان يبذر يصير حامده ذاما ، وافعاله ملاما ، عبده لا يوقره ، واهله لا تقربه ، وولده يهرب منه ، واخوه يفزع عنه ، يتمرغ في قيئه ، ويتقلب في سلحه ، ويبول في ثيابه ، وربما قتل قريبه وشتم نسيبه ، وطلق امراته ، وكسر آلة البيت ، ولفظ بالخنى ، وقال كل غليظة وفحش ، يدعو عليه جاره ، ويزري به اصحابه ، عند الله ملوم ، وعند الناس مذموم ، وربما تستوي عليه في حال سكره مخايل الهموم فيبكي دماء ويشق جيبه حزنا وينسى القريب ويتذكر البعيد ، والصبيان يضحكون منه ، والنسوان يفتعلن النوادر عليه ومع ذلك فبعيد من الله ، قريب من الشيطان قد خالف الرحمن في طاعة الشيطان ، وتمكن من ناصيته ، وزين في عينه اتيان الكبائر وركوب الفواحش ، واستحلال الحرام واضاعة الصلاة والحنث في الايمان سوى ما يحل به عند الافاقة من الندامة ويستوجب من عذاب الله يوم القيامة» .

هذه قطرات من صيب ! وليت شعري اي ادب فقهي تدخر لدينا كنوزه لو كان ابو حيان قد فرغ الى ايضاح العلل وتشريح المسائل وتعليل الاحكام وفلسفة البراهين !

قلت ان الدعوة الى قراءة كتب ابي حيان واجب ادبي والتزام فكري وسبيل الى كتابة دينية حية تغوص ما تغوص لتاتي بابدع الفوائد ، وانفس الاعلاق .

(١) رجعت الى كتاب الاستاذ الدكتور الحوفي عند كتابة هذا النص وان لم اجد الارشادات ساعتئذ .

المنصورة ـ مصر — محمد رجب البيومي



الدكتور فوزي عطوي

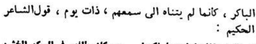
الوزير الأديب الدكتور محمد عبده يماني

بقلم الدكتور فوزي عطوي

* * *

كنا كلما وقعت ابصارنا على نفثة ادبية متواضعة ينشرها وزير او نائب او موظف كبير ، نترنح طربا وزهوا ، ونهمس في سر انفسنا : الحمد لله ، ان دنيا الفكر ما زالت بخير ، وان السياسة لم تفسد الادب ، وذلك خلافا لما زعمه امام الناثرين ابو عثمان الجاحظ .

ذلك ان معظم العاملين في مجالات الحكم والسياسة عامة توافقوا ، في مثل عقد ضمني غير معلن ، على اعلان الطلاق البائن مع كل ما له علاقة بالفكر والمفكرين ، ناهيك بالادب والمتادبين ، فاذا كانت لبعضهم في مطالع حياتهم محاولات نثرية او شعرية ، حاولوا ان يتنكروا لهـا ، وان يانفوا من تذكرها او من تذكر اخوان الصفاء في عهدهـا



الباكر ، كانما لم يتناه الى سمعهم ، ذات يوم ، قول الشاعر الحكيم :

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا   من كان يالفهم في المسكن الخشن

لكننا عندما نسمع ان رئيس جمهورية حكم السنغال قرابة عشرين عاما اعتزل الحكم بمطلق ارادته ، لكي يبرأ من السياسة ومداخلها ومخارجها فيعود الى عالم البراءة الفكرية الانسانية ، ليرتفع من جديد الى مستوى الشاعر الذي كان على الدوام يقترن بلقب « الرئيس » ندرك ان عالم الادب ، حقا ، هو في خير وعافية ، لان بهارج السلطة الى زوال ، ولان مجد الفكر لا يدانيه مجد الصولجان .

ثم عندما نعرف ان بين اعضاء بعض الحكومـــات العربية ، او على راسها ، ادباء وشعراء وعلماء افذاذ ، مثل محمد الغزالي رئيس وزراء تونس ، والدكتور غازي القصيبي والدكتور محمد عبده يماني الوزيرين السعوديين تترسخ قناعتنا بأن امة العرب لن تسقط ، مهما تمادت بها الانتكاسات ما دام ان للفكر في دنياها مقاما اثيرا ، الى الآن .

هذه خطرات لهفى مرت ببالي ، وانا افرغ منذ ايام من مطالعة اربعة كتب ضخمة قيمة لوزير الاعلام السعودي الدكتور محمد عبد يماني الذي اصدر في مجلد واحـــد قصتين طويلتين احداهما « اليد السفلى » ، وثانيتهمـا « مشرد بلا خطيئة » ، ثم قصة ثالثة بعنوان « فتاة مـن جائل » سبقها كتاب علمي ادبي عنوانه « الاطباق الطائرة : حقيقة ام خيال ؟ » .

وللدكتور محمد عبده يماني كتب قيمة غير هـذه ، نذكر منها : الجيولوجيا الاقتصادية ، والمعادلة الحرجة ، ونظرات علمية حول غزو الفضاء .

ولا ريب في ان عناوين كتب الدكتور يماني ، فيماعدا مجموعاته القصصية ، تنبيء عن اختصاص هذا الرجـل الاكاديمي العالم الذي استطاع ان يجمع في نسق فريد بين معرفته العلمية المتعمقة ، واسلوبه الادبي الرشيـــق ، وثقافته الدينية السمحاء ، وان يوظف كتاباتـــه ــ كل كتاباته ــ في خدمة الانسان ، تمجيدا لآلاء الخالق الديان ، وتسبيحا بحمده ، وشكرانا لنعمته .

ولئن كان من حق الدكتور محمد عبده يماني علي أن اعترف بان هذه السطور العاجلة لا تستطيع ان تزعـم لنفسها القدرة على الاحاطة بمجموعة مؤلفاته القصصية والعلمية الجديدة ، خصوصا وان طول عهدنا بالتاليـف يسيغ لنا معرفة مدى الجهد المبارك المبذول في سبيـــل انجاز هذه المؤلفات ، فان من حق القارىء علينا وعـــلى المؤلف الوزير الاديب العالم ، ان لا يكون من شان مداخلتنا الادبية النقدية افساد متعة التذوق لكل جوانب المصنفات « اليمانية » الانيقة شكلا وموضوعا ، وغاية نبيلة .

ومن هنا اننا نكتفي بالاشارة الى العطر ينبعث من ثغور البراعم والازاهر ، لئـلا يكون توغلنـا في الروضة

السحرية الفناء التي اسمها « محمد عبده يماني » معطلا على الذائقة الادبية حقها في ارتشاف الاطايب الكاملة .

ولقد استوقفتني من قصص الدكتور يماني « اليد السفلى » ، و « مشرد بلا خطيئة » ، و « فتاة من حائل » تلك السطور الحيية الممزوجة بتواضع العلماء الحـــق ، حيث ينفي المؤلف عن نفسه قدرة التفرغ لانتاج الاثـــر الادبي ، ويعفي نفسه من مهمة تقديم شخصيته للقارىء ، على الحقيقة والواقع ، كانما لم يكن ناهضا باقسى مهمة فكرية تناط اعباؤها بانسان ، حين يكون مؤتمنا عـــلى مقدرات وزارة ضخمة هي لسان الوطن ، وعينه ، ويده ، وسيفه ، وترسه ، ومجنه ، وسمعته كلها ، عنيـت بهـا وزارة الاعلام .

وكم كنت اتمنى الا يكـون هـــذا الكلام المخلص الصادق مسطورا في التنويه بانجازات وزير مسؤول ، لكن ما يبرىء كلامي من شبهة المجاملة ، انني لم يسبق لي ان تشرفت بمعرفة الوزير الاديب العالم شخصيا ، وان كان له من سمعته الطيبة ، وشهرته الواسعة ، ما يغنيـه عـن كل تعريف . وانما هي خواطر اردت لها ان تكون شهادة حق وتحية لرجل عرف كيف يقهر المشاغل اليومية لئلا تقهره المشاغل ، فوازى في قدرة وبراعة بين مسؤوليـات الحكم ومسؤوليات القلم ، وكان في البداية والنهاية اديبا وزير او وزيرا اديبا ، ثم كان في الوزارة وفي الادب ، من ذلك الطراز النموذجي من رجالات العلم ، في دنيا العرب ، وهو احوج ما تحتاج اليه هذه الامــة الناهضة ، لكي تجدد عهدها الذهبي بنشر اشرعة الحضارة والمعرفة على آفاق هذه الدنيا المتعطشة الى عودة محمودة نحو القيم والمثل والمبادىء الانسانية النبيلة .

والوزير الاديب يعرف اكثر مما يعرف سواه ، ان التفرغ للاثر الادبي لا يعني ، ولا يستطيع ان يعني ، تخليا عن المسؤوليات الوطنية الجسيمة ، ذلك ان عهد الادب القابع في الابراج العاجية ، قد زال ، فضلا عن كوننا نشك اصلا في وجوده ، وان تجربة متعددةالجوانب ، وعلى مثل هذا المستوى الرفيع ، سواء في عهد النشاط الجامعي ، او في عهد مسؤولية وزارة الاعلام ، هي معين ورافـــد كبيران للنشـــاط الفكري المثمر الذي لا يبشر بالاراء والنظريات ، في اطار الفراغ والخواء ، وانما يرسي اسسها ويؤصل دعائمها ، على ضوء الواقع ، ومن خلال المعاناة الانسانية الاصيلة .

ومن هنا ان انصراف الدكتور محمد عبده يماني ، بين وقت واخر ، عن مشاغل الوزارة ، الى عالم الكتابة القصصية ، او البحث العلمي الرصين ، هو بمثابة السفر الى محطات المياه المدنية ، شحذا للقرائح ، وانهاضـا للهمم ، وتكريسا لمعنى التميز الانساني المرتبط بالقـدرة على التعقل ، والاتقان والابداع .

وبهذا يحقق الاثر الفكري اهميته ومكانته ، ويستمد من تجربة صاحبه ومن معاناته العميقة الاصيلة ، كـل حيويته وحركته ، فيشع اطلالات حضارية ، تنهل حينا من التراث ، وترد حينا اخر حياض الحداثة ، فتحقق الاصالة الفكرية وجودها ، ولا يغـدو التجديد قفـزا بهلوانيا في الهواء ، وانما يبقى لبنة تضاف الى لبنة ، في بناء فكري شامخ يبقى على الموكب الموصول في تاريـخ حضارة الانسان .

واحسب المؤلف الوزير العالم قد وفق في « اليـد السفلى » ، مثلما وفق في « فتاة من حائل » الى رسـم الاطار الحقيقي لبعض المظاهر والعادات والتقاليد التي كانت شائعة في المملكة العربية السعودية ، والتي بـدات تتعرض لزحف التيارات الحديثة المادية والمعنوية عليها .

واذا كان المؤلف يعترف في « فتاة من حائل » ان مهمته متممة لما سبق ان بدأ به في « اليد السفلى » « من محاولة لاعادة تشكيل ملامح واقعية عرفتها او عايشتها او اطلقت عليها بشكل او بآخر » فهو يرى ايضا ان قصته تمثل جهدا يهدف الى رسم بعض صور المجتمع السعودي بوجه خاص، «في محاولة لسد جانب ولو يسير من الفراغ الذي نلاحظه في هذا اللون من العطاء الفكري في بلادنا » .

وهكذا ، فقد كان ـ على حد قوله ـ حريصا على ان يرسم ويسجل بعض الصور الفنية النابضة بالحياة ، في المجتمع ، « لا سيما وان بعضها آخذ في الاندثار مع هذا التطور السريع الذي اصبح يلتهم الكثير منها ، او يؤدي الى اضمحلالها ، لتخلفها صور اخرى عصريـة ربما .. وجميلة ربما .. وضخمة ربما .. ولكنها ـ على اية حال ـ تختلف عن تلك الصور الاصيلة التي يحلو للبعض تسميتها بالتقليدية ، وهي صور عاشها اجدادنا وآباؤنا ، وعشناها نحن في جواري مدننا وازقتها .. »

واحب ، بعد هذا ، ان اعود الى « اليد السفلى » التي كانت محاولته القصصية الاولى وقد بداها ، منـذ خمسة عشر عاما ، اذ نشرها صفحات قلائل في مجلـة « الاذاعة » التي كانت تصدر في ذلك الزمان ، وما زال يعود اليها حينا بعد حين ، وتحت وطأة الالحاح الشديد من ذاته ووجدانه الى ان اكتملت عناصرها على النحـو الذي نشرت فيه .

فقد ذكرني الدكتور محمد عبده يماني ، الوزيـر والمواطن السعودي الذي يصف اول اطلالة في الزيـارة الاولى الى مكة المكرمة ، بالوصف الممزوج بالتقوى الذي ذكره لي ابي ، بعد عودته من حجته الاولى ، منذ عـدة سنوات ، من الديار المقدسة الى بيروت، اذ علق في ذاكرتي من حديث ابي كلام لا انساه ، وهو انه منذ وصوله الى الديار المقدسة ، وبدئه بشعائر الحج ومناسكه ، في عداد الحجيج ، لم يعد يذكر احدا من ابنائه او احفـاده او انسبائه او اصدقائه ، وكل ما كان يذكره في تلك الايـام المباركة انه ماثل بين يدي رب العالمين ، وانه يسير عـلى

الدروب نفسها التي سار عليها منذ اربعة عشر قرنا نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام .

وقرات في « اليد السفلى » قول الدكتور محمد عبده يماني : « ورحنا نرتقي هضبة من تلك الهضاب المحيطة بالمدينة الطاهرة ، وما ان بلغنا اعلى الهضبة ، حتى استوقفني والدي ، ووضع يده على كتفي ، واشار بيده وهو يقول بصوت متهدج قد ظهر الخشوع ، مع التعب ، في كل كلمة من كلماته : « هذا هو بيت الله » ، ونسيت نفسي .. بل نسيت كل شيء .. نسيت الاهل الذين فارقتهم ، ونسيت اخوتي واصدقائي الذين خلفتهم في « بني فهم » (قريته) .. نسيت حياتي القصيرة كلها ، وترددي ما بين المزارع وبيتنا المتواضع هناك .. نسيت ذلك كله ، وما عاد في خاطري سوى مكة المكرمة التي كنت اراها امامي والمسجد الحرام المبارك بمآذنه العالية ، وعمارته الشامخة ، وبيت الله العتيق — وسطه — في مهابته وروعته .. وشعرت بروحي تشف حتى لكأنها تحولت الى طائر سبقني الى ذلك المكان المقدس يرفرف حوله ، وسيطر علي خشوع عميق ترقرقت له الدموع في عيني ، واحسست بانني قد الفت المكان وهو على مرمى النظر مني ، وانا لما اخطر اليه بعد » .

وما كدت افرغ من هذه الكلمات المفعمة بالتقوى والايمان وصفاء السريرة حتى استعدت كلمات ابي ، ثم كلمات امي اثر حجتها معه في المرة الثانية ، وحملتني هذه الكلمات والذكريات الى بضع سنوات قلائل ، حين عقدت النية في عامين متتاليين ، وبمناسبة وجودي في مدينة جدة محاضرا ، على اداء مناسك العمرة في مكة المكرمة ، فارتديت وبعض انسبائي في المدينة الساحلية ثياب الاحرام ، ورحنا في امسية ، بعد امسية ، نيمم شطر المدينة المباركة ، مهبط الوحي ، وكعبة بيت الله العتيق ، وما احسبني شعرت بذلك الشعور الجميل الهادىء الهانىء الذي يشعر به الزاهدون العابدون المستغفرون ، من قبل ان ازور مكة المكرمة التي تعيش في ضمير كل مسلم ، فاذا بلغ رحابها الطاهرة احس انه جزء منها وانها جزء منه ، وادرك ان كل تفاهات هذه الدنيا ، وكل بريق امجادها والقابها وثرواتها لا تعادل لحظة واحدة من لحظات ذلك الوجود النوراني السمح الذي يغمر القلب والعقل والضمير ، في رحاب بيت الله العتيق .

ولربما غرتني مشاعر التقوى والايمان ، في صفاء نفس وخلوص نية ، يوم زرت ، قبل نكسة ١٩٦٧ ، رحاب المسجد الاقصى ومسجد الصخرة ، وكنيسة القيامة والمسجد العمري ، في القدس الشريف ، ثاني القبلتين المباركتين ، لكن شعور مكة المكرمة يبقى شعورا آخر ، لان طعم مكة هو طعم الجنة التي وعد بها الابرار المؤمنون .

ثم انتقل مع الدكتور محمد عبده يماني الى قصته « مشرد بلا خطيئة » المنشورة في جزء واحد مع قصة « اليد السفلى » ، حيث اطالع ما استوحاه الكاتب الوطني المنصف « من واقع الالم التاريخي الذي ليس له مثيل ، ذاك الذي عاناه ويعانيه اخواننا الفلسطينيون ، اصحاب فلسطين واهلها ، ومن التطورات التي طرات على القضية الفلسطينية »

وارجو ان لا اظلم المؤلف ان اعدت الى الاذهان تصريحه بان النماذج البشرية التي اختارها ليعرض فيها جانبا من مأساة المشردين بلا خطيئة ، ليست بعيدة ، في الواقع عن الحقيقة ، وانها موجودة فعلا بخيارها واشرارها على السواء .

وعلى هذا ، يرسم المؤلف لنا في مقدمة قصته بعض ملامح هذه النماذج البشرية :

« ١ — ان « ابراهيم » مثلا ، هو كل شاب فلسطيني وجد نفسه بلا بيت ولا وطن ومن غير ادنى خطيئة ارتكبها (ومن هنا عنوان القصة : مشرد بلا خطيئة) .

٢ — و « ام ابراهيم » هي كل ام فلسطينية ، عانت وتعذبت وكافحت وعاشت الاهوال كي تقيم اود ولدها واودها ، وتؤمن له اسباب الحياة في ظروف بالغة الصعوبة والقسوة ، في المخيمات .

٣ — و « نمر » هو كل رجل فلسطيني وعى الاحداث منذ وقوعها ، وعرف ابعاد المؤامرة منذ بدايتها ، فكان عليه ان يقاتل في جبهتين : جبهة الحياة ، وجبهة الجهاد .

هل اتمادى في الاقتباس ، بعد ، فأتمادى بذلك في ظلم المؤلف او اجتزىء قصته اجتزاء ؟

انني ارجو ان اعود مع المؤلف ، كما عاد بنا الى اصول القضية الفلسطينية العادلة ، بكلمات واضحة تعدى بها اطار الحبكة القصصية الفنية ، الى حد تسخير الفن القصصي لاجل اتخاذ الموقف القومي النبيل ، من قضية قومية وانسانية عادلة .

واصل الآن الى آخر الكتب الجديدة التي اصدرها وزير الاعلام السعودي الدكتور محمد عبده يماني عن « الاطباق الطائرة : حقيقة ام خيال » ، فتبهرنا في هذا الكتاب الرائع كلمات الاهداء الخلوقة التي تكشف عن اصالة الانسان ، ومعدن الخلق السري ، في الوزير الكاتب ، اذ يتجلى وفاؤه في اروع صوره عندما يهدي كتابه « الى الرجال الذين تعلمنا منهم الاخلاق قبل العلوم ، والوفاء والصدق عند التعامل » ، ثم يخص بالذكر منهم استاذه اسحاق عزوز مدير مدارس الفلاح ، واساتذته في تلك المدارس ، بالتحية والاهداء .

يروي الدكتور يماني في المقدمة حكاية هذا الكتاب ، منذ ان رافق بعض رواد الفضاء الاميركيين الذين يحملون عينات من احجار القمر ، خلال زيارتهم للمملكة العربية السعودية ، الى ان ظهرت بعض الاطباق الطائرة في سماء الجزيرة العربية ، وحط بعضها على ارض الكويت منذ سنوات قلائل .

وبنتيجة الاحاديث التي جرت ، خلال زيارة رواد الفضاء للمملكة ، استكبر ان يكون انجاز الرواد الاميركيين والروس وليد جهودهم وحدهم ، فراح يتساءل عن اسباب تخلفنا كعرب ومسلمين عن تحقيق مثل هذا الانجاز ، وبالتالي احراز النجاح الذي احرزه غيرنا ؟

ويرى الدكتور محمد عبده يماني « ان ارتياد الفضاء ليس وليد يوم وليلة ، ولا عام ولا عدة اعوام ، وانما هو محصلة معطيات كثيرة ، منها على سبيل المثال ، ان سباق الاميركيين والسوفييت في مجال الفضاء هو ممارسة استراتيجية وسياسية اكثر مما هي ممارسة علمية .. فهي استعراض للقوة ، وتطوير للصواريخ الحربية والاقمار الصناعية واجهزة المراقبة والتجسس، بدليل ان دولا اخرى متقدمة لم تحاول الدخول في ذلك السباق ، كفرنسا واليابان والمانيا ، على علو كعبها في المجال التكنولوجي ، ووفرة مالها من الامكانات العلمية والمادية والبشرية » .

وكان المؤلف يوضح دائما « ان ما حققته العلوم الفضائية في ايامنا هذه قد اعتمد اساسا على جهود وانجازات سلفت ، قام بها علماء كبار ، بينهم ـ وهذا هو بيت القصيد ـ عدد من علماء المسلمين، وان السبق العظيم في تحديد معالم الاتجاه نحو غزو الفضاء وارساء قواعده الاساسية قد قام بنصيب وافر منه عدد من اسلافنا

الكبار اولئك ، ممن بلغوا شأوا من التقدم العلمي لم يسبقهم اليه احد ، وحققوا بعبقرياتهم ومبادراتهم انجازات ، بعضها مما لا يتوصل اليه العلم الحديث الا بوساطة اجهزة وآلات وحاسبات في غاية الدقة والتعقيد والصعوبة » .

واذ راى الدكتور يماني ان القرآن الكريم كان منطلقا للبحث والدرس والتجربة والملاحظة ، لانه النور الذي اضاء قلوب علماء المسلمين ، فقد بدا ذهنه يتجه باستمرار الى وضع بحث يعرض فيه بعضا من هذه الحقائق الساطعة عما حقق علماء المسلمين وانجزوا في مجال العلوم التطبيقية وعلى هذا الاساس ، فقد جاء كتابه « الاطباق الطائرة : حقيقة ام خيال » نموذجا دقيقا للدراسة العلمية الجادة التي تؤكد الفكرة بالصورة والرسم ، ووقع في خمسة فصول بالاضافة الى المقدمة والتمهيد والخاتمة، اذ تحدث عن الظواهر الغريبة ، والكون الذي نعيش فيه ، والعلوم الكونية في الاسلام ، ودور اسلافنا في دراسة علم الفلك والفضاء ، وشواهد من التاريخ ، وانتهى الى عرض مختلف الآراء والنظريات حول حقيقة الاطباق الطائرة او زيف وجودها ، مؤكدا « ان من الصعب الاجابة على السؤال بنفي او اثبات ، وان التحدي العلمي المجرد بالمطالبة بتقديم الدليل الحسي لا يكفي لاقناع ملايين البشر في مختلف انحاء العالم ، ممن يتلقفون انباء الاطباق الطائرة بلهفة ، ويتناقلونها في حال هي بين القناعة والحيرة ».

* * *

وبعد ، فهل استطعت ان احيط بالفكر الموسوعي ، والعطاء الادبي والقصصي الناجح الذي اتحفنا به الوزير القاص ، والاديب والعالم الدكتور محمد عبده يماني ؟

اعترف انني اجتزات اجتزاء ارجو ان لا يسيء الى انتاج المؤلف الكريم ، لكنني حرصت دائما على الوقوف امام مداخل الروضة الفكرية الغناء ، لكي اقرا عناوين ازهارها ، واستاف بعض عطرها الشذي .

الم يقولوا من قبل : ان الكتب تقرا من عناوينها ، وان الربيع ببعض العطر يختصر ؟!

فوزي عطوي

بيروت ـ شارع الجامعة العربية
بناية اسكندراني رقم ٢ ـ الطابق ٧



ايليا حليم حنا

تجربتي مع الحياة

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

تمر السنون ويزداد رصيد الانسان من معرفة الحياة والناس ، ويصبح لديه ركيزة قوية نتيجة لتجاربه التي تبلورت ، واصبحت المحرك له في تصرفاته ومعاملاته وتعامله مع الحياة والناس ، وتصبح محورا ينطلق منه ويبني عليه.

توقفت على الدرب الطويل وعدت بناظري الى الوراء لارى كيف مضت رحلتي حتى الان .. احسست كما لو كنت اسير في حديقه زهورها متعددة الالوان والاشكال ، وفيها اشجار عديدة انتجت لي ثمارا مختلفة المذاق ، منها الثمار الفجة والمرة والحلوة ، وفيها ايضا كثير من الاعشاب البرية التي ظهرت في عدة اركان منها . لم أزرع كل هذه الاشجار والزهور والاعشاب ... لقد زرع لي الكثير منها البستانيون الثلاثة : الوراثة والبيئة والاقدار ... لست ابن نفسي وحدها ، انني ابن لهؤلاء جميعا .

جئنا بالرغم منا ... ولقنا ما لم يؤخذ راينا فيه .. وورثنا في اجسادنا وعقولنا الكثير الذي لا يمكن ان نتخلص منه الا بشن حرب داخلية علىانفسنا التي تكونت ولم يكن لنا كل الفضل في تكوينها .

لقد ورثنا امورا بدائية كثيرة تكمن في اعماقنا ، ولكن لنا تراثنا أيضا من القيم الفاضلة والمثل الطيبة ، ويجب الا نغفل هذا في رحلة الحياة ... نستطيع ان نملك انفسنا بتنمية طاقاتنا الروحية ... هذه الطاقات الروحية تقوى وتشتد بالتأمل الواعي ، والثقافة الحية الشاملة ، والافادة من تجارب الحياة ، وبذل الجهد لتحقيق الذات الفضلى ... وعندئذ يمكن ان يعفى الانسان من نفسه البدائية .

يقول (الكسيس كاريل) في كتابه (الانسان ذلك المجهول): « الذكاء والاخلاق كالعضلات والاعضاء تذبل من قلة التمرين، فبذل الجهد أمر لا غنى عنه للانسان كي يبلغ غايته من الرقي والتهذيب » .

احبب الحياة بكل قوتك تمنحك الحياة سر قوتها ... وليس حب الحياة ان تغالي في حب ذاتك دون غيرها . حب الحياة هو حب كل ما فيها من جمال معنوي ومحسوس .. حب الحياة هو الانفتاح على كل ما في الدنيا من خير وجمال ... والقلب مركز الشعور الجميل النبيل والاحساسات الانسانية ... وهو مسؤول عن سعادة الانسان وشقائه ، عن بسمته وهمومه ، وفي هذا يقول (كوكتو): «غلطة زماننا اننا نفكر كثيرا ، ونترك مكانا ضئيلا للقلب» .

ماذا نمتلك اغلى من الحياة ؟.. اليس هذا الشيء الغالي جديرا بأن يعاش على اسس طيبة ؟!.. انها فن الفنون .. كيف لا نهتم بهذا الفن العظيم حسب خبرة الانسان وخبرة العصور ... كيف لا نتخلص مما يفقدنا استمتاعنا بها كأفراد وجماعات ؟!.. ما فائدة تجارب الانسان منذ ان دب على هذا الكوكب ان لم يفز بها في الحصول على حياة افضل واجمل ؟

يقول (الكسيس كاريل) : (تجديد نفوسنا يتوقف في الاغلب على الارتقاء بقوى العقل والخلق ، ونبذ طبائع القطيع) ويقول الفيلسوف الانجليزي (برتراند رسل) : (من الناس من تهيأت لهم جميع الظروف المادية للسعادة من صحة ومال واولاد ، ولكنهم برغم ذلك في شقاء لانهم لا يعرفون كيف يعيشون) .

ادرت عيني في المواقف العديدة في رحلة حياتي ... قلبت دولاب الذكريات المدون في رأسي وقلبي واعصابي ، وتأملت تجارب العقلاء الذين مروا في الحياة قبلنا ، واستعدت اياما واحداثا وآلاما واحزانا وافراحا ، وقلقا ومللا ، وثورة وخوفا وفشلا ونجاحا ، وظروفا كانت اقوى مني . وعرفت ان الحياة الخالية من الصراع ليست موجودة في ارضنا ، وشقي من يسعى وراء حياة لا تشوبها الهموم ... وقد دلتني تجاربي وما شاهدته في حياة الناس ان سوء الحظ عنصر من عناصر الحياة ... والذي يحاول ان يعيش حياة لا يكدره فيها شيء انسان واهم يسعى وراء سراب وسرعان ما تفجعه الحياة . يقول (برودن) : (حياة الانسان حرب لا هدنة فيها) .

ويشجعنا العالم النفساني (هاري امرسون فوزدك)

على المضي في الحياة بصبر وعزم رغم احداثها وهمومها ـ بقوله : (لم يظهر على سطح الارض اروع من الذين كانوا سيئي الحظ . انهم مع ذلك رجال حقيقيون ، ذلك لان العامل الذي له قيمة في تجاربهم ليس هو ما يحدث لهم ، بل الطريقة التي يتلقون بها ما يحدث ، والكيفية الايجابية التي يواجهون بها الحياة) .

كثير من النفوس الكبيرة عاشت في عذاب ولقيت عناء طويلا ، ولكنها اهتدت الى نفسها وكيفت الحياة بارادتها . منطق الحياة يقول : اذا كبوت او سقطت انهض وابدأ من جديد ... شقي ، شقي من لا يمتلك القدرة على النهوض، من لا ينهض تدهسه الحياة بعجلاتها . يقول (كونفوشيوس) (ليست العظمة في ان لا تسقط ابدا ، بل في ان تسقط ثم تنهض من جديد) ...

لا بد من مواجهة كل ظروف الحياة باستجابة قوية وعزيمة صلبة ، وليس هناك طريق آخر لمن يريد الا تتوقف حياته ويقضى عليه بالشقاء الدائم .

لقد دلتني تجاربي في سني عمري على ان ما يسعدنا في الحياة او يشقينا فيها ، ليس ما تمنحه لنا الحياة ، ولكن ما نسبغه نحن عليها قد ينعش أرواحنا او يتعسها .. اننا نستطيع ان نغير اثر اية حالة بتغيير موقفنا منها ..

اصيب امريكي يدعى (ريتشارد ماكفيلي) بالشلل فجأة ووصل الى اسوأ الحالات النفسية والعقلية ، وانقطع امله في الحياة .. اخذ يفكر في مصيره وتفجرت طاقاته الروحية فصحا وهو يقول (لن اتبرم بعدل الوجود ، ولن اركن الى اليأس .. انني ما زلت حيا ، ويجب ان افيد من حياتي .. ان الحياة في ويجب ان اكيفها بارادتي) .

لقد كان لوالدته الفضل في انقاذه من يأسه القاتل عندما قالت له (تستطيع يا بني ان تغير حالتك بتغيير موقفك منها .. ليس في هذه الدنيا من يرى ان الحياة جديرة بأن تعاش ، والامر يتوقف علينا اولا وآخرا ، فنحن الذين نستطيع ان نجعلها جديرة بأن نحياها بما تنطوي عليه نفوسنا من شجاعة) ..

ويضيف لنا (ريتشارد) ثمرة خبرته على الدرس الذي علمته له امه فيقول (ليست العبرة ان تكون الحياة طيعة بين يديك وانما العبرة في ان تجيد استغلال حظك السيء) ويتابع (ريتشارد) حديثه فيقول : (بالرغم من الشلل الذي اصابني فانا رئيس مدرسة للاطفال ، ادرس فيها التاريخ وادرب التلاميذ على الالعاب الرياضية ! وقد اشتركت في وضع كتاب في الدراسات الاجتماعية ، ولي مقالات لا تنقطع في اغلب المجلات الامريكية ، وانا عضو في ست هيئات تعليمية ومتزوج ولي ولدان) .

الحياة ليست طريقا ممهـدا مفروشا بالورود .. الحياة مشكلة .. تتطلب منا في كل لحظة الحكمة والتصرف الحسن لحلها والتخلص من تعقيداتها . انها لا تدوم على حال .. لها في كل دقيقة بل في كل لحظة حال ، اعماقنا تتأثر في كل ثانية بما يمر علينا او يحدث لنا .. الحياة اناء كبير يمتلىء ويفرغ كل لحظة ، فان لم نواجه هذا التقلب المستمر السريع ، فقدنا عقولنا وتلفت اعصابنا واصبحت حياتنا شقاء مقيما .

لا شيء يمكن ان يتحقق من غير محاولة .. لذا يجب الا يفوتك ادراك مدى امكانياتك ، وحدود طاقتك ، لتعمل على تكييف امانيك للاهداف المحتمل ان تصل اليها قدرتك .. وقل مع (نيتشه) (كل ما لا يقتلني يزيدني قوة) .

لا سعادة في الحياة بدون هدف نبيل تبذل كل جهدك لكي تصل اليه ، حياة بلا هدف واضح تمر ايامها ثقيلة متباطئة فارغة مسئمة ، نرضى فيها بكل شيء رضا الاستسلام ولا نكون سادة نفوسنا .. حدد هدفك الكبير ولا تتأرجح بين هدف وهدف ، فان هذا يبعث السأم واليأس في نفسك ، لا بد ان يكون لك قمة شامخة متفاوتة الارتفاع تتسلق اليها بعزم قوي ونشاط وتفاؤل وتعرف موضع قدمك وانت تصعد .. اذا بذلت غاية جهدك ولم تنجح ، فاعلم ان هناك جهدا اخر يجب ان يبذل ، ولا بد ان هناك اساليب اخرى يجب ان تتبعها لتبلغ المنتهى .

لا يعطل الانسان عن تحقيق هدفه الا التسويف والاسراف في الحذر ، فاذا قررت فامض ولا تتردد . لاتخف الفشل ، فان الخوف يحول بينك وبين الاقدام . الخير ان تجازف وتخطىء ثم تفيد من اخطائك ، هذا خير من ان تتردد ولا تعمل شيئا فيخمد عقلك وتشعر بعدم الرضا عن نفسك ، ويتبع هذا ان تشقى في حياتك .

الاقدام هو اول مراحل النجاح يفتح لنا عالما جديدا ويمدنا بالخبرات الجديدة التي تثري حياتنا ، افعل ما تعتقد انه حق ولا تخش شيئا . انك تبلغ مرتبة النمو الكامل عندما تضبط اعصابك وتمتلك زمام نفسك بعد الخطأ ، ثم تحاول ان تفيد منه .

سر النجاح في الحياة ان تتخذ موقفا ايجابيا ، لا تقف مترددا امام الباب الموصد بل فكر في طريقة تفتحه بها او في الوصول من باب اخر .. هذه هي لعبة الحياة التي تنسينا متاعبنا ، وندفن فيها آلامنا وهمومنا ، وتسلينا ونحن نسير في طريقنا المرسوم . حاول وانت تسير في هذا الطريق ان تضحك وتسخر من كل الحصى والشوك والغبار الذي تذهب فيه اقدامك .. ان قوى عجيبة كامنة فيك تبعث لتواجه التحديات وتدفعك فجأة بما يشبه المعجزة ..

والاشخاص المبتكرون الخلاقون هم ـ الى حد كبير ـ اولئك الذين يواجهون التحديات ، ومن يرفض التحديات لا يجد الحماسة ، ولا يحقق ذاته ، فالرجل الخامل الذي يجنح الى الدعة والراحة تكتسحه الاعاصير والرياح وتدوسه الارجل ، ويرى حياته عبئا ثقيلا ويحس بآلامه

بشكل قاتل ، لانه لا يبدد همومه في شيء بل يجترها ، ولا يشغله عنها شاغل ، وهو في ذلك أيأس خلق الله ..

اننا نسعد عندما نحس مقدرة كبيرة على الخلق وتتخلص نفوسنا من ضجرها ، ونكون اكثر حيوية وهذا هو سر تجديد الذات وما يجعل الحياة تضحك فينا . لقد صدق (فولتير) في قوله (الحياة طفل ينبغي ملاطفته حتى ينام) .. وهذه الملاطفة لا تكون الا بكشف القوى الكامنة فينا ، ومن هذه القوى الكامنة في اعماقنا تنبعث القوى الذهنية التي نسميها الهاما ، والحيوية الجبارة التي تدفعنا في طريق الحياة دفعا قويا ، والتي تدوس العقبات والمنغصات وتستهين بها بروح بطولية مزودة بكل مقومات المواجهة العنيدة اللذيذة ، ونشعر بنشوة النصر على التحديات ونستسيغ الكفاح ونرى كياننا فيه ..

هكذا نروض الحياة لنعيشها ، وبغير هذا يغرقنا الطوفان الذي تهدر فيه طاقاتنا ضياعا وقلقا ومللا ويأسا.

اذا اوكل اليك امر فاتقنه ولا تتركه الا وانت تدرك تماما انك بذلت فيه اقصى ما يمكن بذله . لا اجد عيبا افظع من عيب الانسان الذي يؤدي عملا وهو يشعر انه كان في امكانه ان يؤديه على وجه خير مما اداه به . انها خيانة كبيرة للنفس الا نخلص في اظهار افضل ما يمكن ان تمدنا به قدراتنا ومواهبنا .. حرام ان يكون جوهرنا ذهبا صافيا ، ولا يبدو اكثر من حديد يعلوه الصدأ .. اننا نسيء الى انفسنا ونسيء الى من يمكن ان نفيدهم عندما نقدم شيئا اقل مما يمكن ان تنتجه قدراتنا .

ان معظم الذين خلدتهم اعمالهم لم يكتفوا بالقشور من مواهبهم بل وصلوا الى اللب بالتعب والسهر والعرق والجهد المضني .. فضى (فرجيل) الشاعر الروماني سبع سنوات في نظم الفي بيت . وامضى (لقريطوس) حياته باسرها في نظم قصيدة واحدة . وانفق الفيلسوف (لوك) ثمانية عشر عاما في تأليف (رسالة في الفهم الانساني) .. وكان (افلاطون) يمضي الاسابيع في اختيار كلمة واحدة .. وكان (اديسون) يقوم بآلاف التجارب ليصل الى نتيجة .. وكان (هول كاين) ينقح كل رواية يكتبها اثنتي عشرة مرة على الاقل !!

لقد بذل الخالدون مجهودا عنيفا ليبرزوا افضل ما يمكن ان تنتجه مواهبهم .. لم يتسكع هؤلاء على اعتاب الخلود بل دخلوا من الابواب التي هي العرق والجهد المضني والميل ، ولم يرضوا عن اي عمل عرفوا انه في قدرتهم ان ينتجوه على نحو افضل . وللرجل العادي اقول : النجاح يتطلب الخبرة والتعمق في دراسة العمل الذي تتخصص فيه .

كن امينا مع نفسك ولا تضيع قدراتك ومواهبك في قبور الكسل والعجلة . حاول ان تصل بحياتك الذهنية والوجدانية والانتاجية الى الافضل .. الحياة تافهة وضياع ان لم تكن خلقا واضافة وابتكارا .

الحياة شيء تافه ان لم تكن نموا مستمرا ، والانسان الذي لا ينمو عقليا ونفسيا وروحيا ليس كائنا حيا ، بل هو جماد ، او هو دودة داخل شرنقة او قوقعة ، والانسان لا يحيا بالخبز وحده ، بل بكل ما ينمي عقله ويسمو بوجدانه .. ويجعل كل يوم جديد يمده بفرصة مريحة لمسايرة الحياة على نحو افضل .

ان الرجل الذي لا يتوقف عن تثقيف نفسه يجد لحياته كل يوم طعما جديدا ، يرى العالم كله مفتوحا امامه، يجد شيئا جديدا يشغل فكره وقلبه ويفتح عينيه على حياة متجددة دائما ، فلا يشكو من السأم .. يجد دائما ما يثيره ويسترعي انتباهه ويمكنه من التمتع بالحياة في اية مرحلة من حياته ، ثقافته تنمي ذوقه وتمكنه من الحكم الصحيح على الاشياء والناس ، وتجعل تفكيره خلاقا حيا ..

والتفكير الخلاق كالشجرة المثمرة التي تنبت الثمر الشهي ولا تتوقف الا اذا شاخت ، والانسان بدون الثقافة الشاملة الحية يشيخ عقله ووجدانه ، وتضيق نظرته للحياة والناس . الثقافة هي المصباح القوي الذي يضيء اعماقنا ويرينا الصورة الحقيقية الواضحة للحياة فينا ومن حولنا ... هذه الثقافة البناءة الموحية هي الاداة الفعالة التي تمدنا بأجمل ما في الحياة ، واجمل ما في الحياة هو ان تعرف وتعمل وتسمع وتنظر وتحب . بدون العصارة الثقافية المحيية التي تغذي عقل الانسان ووجدانه يصبح لا فارق بينه وبين الجماد الذي لا ينمو ابدا وتدب فيه عوامل النقص والفناء .

ان الرجل الذي يحتفظ بقواه الجسدية ولا ينمي قواه العقلية والروحية ويغفل عن تربية وجدانه تربية انسانية ولا يدرب نفسه على السلوك البيئي السليم والضمير الحي ، يفقد الكثير من خصائص الانسان ان لم يفقدها كلها .. ما اعجز الانسان ان لم يستطع ان يرفع من قيمة نفسه ويصبح انسانا ، وما اتعس الانسان ان لم تكبر روحه وتتناقص شهواته .. انه لن يكون انسانا وفي هذا يقول (طاغور) شاعر الهند العظيم (الانسان اشد حيوانية من الحيوان ان لم يكن انسانا) .

الاغلبية الساحقة من الناس تنشد السعادة لنفسها فقط ، وهؤلاء لا يحققون لها الا الملل القاتل فان كل ما يحققونه يصبح شيئا عاديا بمجرد الحصول عليه .. السعادة الحقة هي ان نلمسها خارج انفسنا .. نسعد حقا عندما نجد خارج انفسنا مشاغل لها قيمة ننصرف اليها ، وعندما نعني بشؤون الناس ونحاول مساعدتهم او تخفيف آلامهم .. عندئذ يحس الشخص انه انسان ، وهذا اقوى واجمل شعور يثري حياته ويرفع من قيمتها امام نفسه وامام الناس ، ويجعل الحياة متجددة دائما وتزول عنها رتابتها .

ان هؤلاء الذين يركزون اهتمامهم في نفوسهم نماذج

للنمو الذي توقف .. لان تركيز الاهتمام في الذات من خصائص مرحلة الطفولة .. وكلما نضج الانسان ضاقت دائرة اهتمامه بنفسه واتسعت دائرة اهتمامه بالاخرين .. محاولة اسعاد الاخرين تجعلنا نحس بالرضا عن انفسنا وهذا الاحساس هو قمة السعادة .. فليس اقل من ان نجمع لانفسنا ثروة من لحظات السعادة ..

وقد فعل هذا (جيته) الذي كان دائما يؤمن بأن لا خلود للزمن ، وان الحاضر سرعان ما يصبح ماضيا .. كان يسترجع لحظات السعادة التي مرت به ويجعلها زاده اليومي . وهكذا عاش الكاتب الالماني الكبير (اميل لودفيج) وكان يؤمن ان السعادة هي مجموع اللحظات السعيدة التي رضي فيها عن نفسه . فالذي يتذكر هذه اللحظات الانسانية الرائعة يكون كمن اوتي ثروة في خزائن نفسه .

وليس العطاء من ذات انفس هو العطاء المادي فقط . وفي هذا يقول (رالف والدو امرسون) : (ان الهبة الوحيدة هي التي تكون جزءا من نفسك) ان العطاء الانساني يفوق كل عطاء مادي في كثير من ظروف الحياة .. هناك البسمة الحلوة ، الكلمة الطيبة ، المشاركة النابعة من القلب ، الخدمة البسيطة التي تأخذ باليد ، الكلمة التي تقوي ، مساعدة الناس للخروج من مآزقهم .. تخفيف آلامهم وقلقهم .

كلمة طيبة في ساعة ضيق انسان وحيرته تنير مكانا مظلما في اعماقه وتخفف ضغطا خانقا يكاد يعصر قلبه .. في ساعة الضيق كلمة حلوة تعمل عمل السحر وتريح النفس مما يدميها .. تبرىء الجرح او على الاقل تساعد على التئامه .. الكلمة الحلوة تضاعف السرور ضعفين ولكنها تشطر الهموم شطرين .

ليست المادة هي كل ما يعطى ، ويحضرني في هذا مقال لكاتب لا اذكر اسمه ، قال : (اذا اومضت في راسي فكرة لتحسين منظر نافذة العرض في مخزن مجاور فانني ادخل واعرض اقتراحي على صاحبه . واذا وقعت حادثة وظننت ان رجل الدين يستطيع ان يستخدمها في عظاته كلمته بالتلفون وقصصتها عليه ، واذا قرات مقالا قد يود ان يقراه احد اعضاء مجلس الشيوخ بعثتها بالبريد اليه) . ويعقب على هذا بقوله (قد استفدت من صداقات كثيرة بهذه الطريقة) .

التقدير الانساني الودود ، والاهتمام والتشجيع ، كلها لا تحتاج الى مال نهبه .. يجب ان نعمل في التو على اخراج كل دافع طيب .. يجب ان نهذب حياتنا بأن نفعل يوميا شيئا طيبا .. ان كل عطاء يقدم للناس سواء كان عطاء معنويا او ماديا يدخل السرور الى النفس . لهذا يجب ان نسارع فان ما يدخل السرور على النفس يكون فوق كل حساب مادي او جهد يبذل .

ليتنا نستطيع اسعاد كل الناس كل الوقت . اعتقد ان الذي لا يحاول اسعاد من حوله حيوان مجرد من كل صفات الانسان .. انه مثار قلق ومتاعب لمن حوله ، يكمد نفوسهم ويكدرها بتصرفاته غير الانسانية ويجعل حياة الناس جحيما ، يبعد عنهم الراحة والاطمئنان ، ويشغلهم بوحشيته التي تبدو في الفاظه المؤلمة او تصرفاته المكدرة .. وهل يعتبر الواحد منا نفسه انسانا اذا كان من النوع الذي يلذ له ان يكدر صفو غيره او يسيئه ؟!

معظم منغصات الحياة وآلامها ونكباتها مصدرها هذا الانسان الذي تجرد من وداعة الانسان وطيبته ، والذي يبدو كحشرة مؤذية ، كعقرب يلدغ من يحتك به وينفث فيه سمومه . ما اجمل ان يكون الواحد منا عميقا في انسانيته ، يحاول دائما ان يسعد كل من يحتك به ... يجب ان نكون هذا الطيب الوديع في بيوتنا ، وفي اعمالنا ، وفي جميع معاملاتنا .. وعندئذ نسعد انفسنا ونحصل على راحة قلوبنا ..

ما جدوى الحياة ان لم تكن هذه الحياة حول الناس جميعا حبا وحنانا .. ان ارخص واحقر شيء في الحياة هو الكراهية .. لا تستطيع ان تسعد وانت تكره ، لقد صدق من قال ان الجحيم مكان خلا من المحبة .. الحقد اذا ملأ القلب يغلق كل سبيل نحو الاكتمال الروحي ... وهذا هو السبب في ان الاحقاد التي تستقر في الاذهان كثيرا ما تقضي على سعادة صاحبها ، وعلى نجاحه في الحياة ، او على كفايته في عمله وتؤثر في صحة عقله وجسمه تاثيرا كبيرا .

كلنا في هذه الحياة في حاجة الى من نحدثه عن متاعبنا وهمومنا وآلامنا ، في حاجة الى الصديق الانسان والزوجة المخلصة او الزوج الوفي الامين .. اننا في حاجة الى القلوب الآدمية الرحيمة المحبة .. التي تبدل ظلامنا نورا .. بدون هذه القلوب الرحيمة المحبة ، نحس باليتم النفسي والصدام الدائم مع الحياة ..

ان قمة النجاح في الحياة اكتساب الاصدقاء الكثيرين .. انني اعجب كثيرا بكلمة قالها (صموئيل جونسون) : (ان يوما لا اتخذ فيه صديقا لهو يوم ضائع من عمري) . ويعجبني ايضا ما قاله (هنري وارد بيتشر) : (اقم جبانة متوسطة الحجم كي تتسع لدفن اخطاء اصدقائك وسقطاتهم) .

انك لا تخلق الناس ، ولا تربيهم فخذهم كما هم ، وغض الطرف عما قد يبدر منهم ، والا فانك لن تحتفظ بواحد منهم . ولا تكلف الصديق بما تضيق ان يكلفك به . العيب فينا اننا نحب انفسنا كل الحب ولا نترك منه شيئا للغير ، وعندئذ لا نجد من يزاحمنا في حبها .

جدد حياتك من خلال تعرفك على اناس جدد ، حاول ان تفهم انماطا بشرية اخرى ، عقولا اخرى ، وجهات نظر اخرى ، وان ترى الحياة من خلال عيون اناس آخرين . لا شيء ينمي معرفة الانسان ووجدانه قدر الثقافة والاحتكاك بالعدد الكبير من الناس على اختلاف اعمارهم ، ومراكزهم الاجتماعية ، ومواهبهم وقدراتهم ، وتباين آرائهم ..

وفي هذا يقول (بالمر) : (اعترف بالهزيمة حين ألقى من الناس من لا يسعني أن اتعلم منه شيئا) . هذا الاحتكاك الانساني دراسة بشرية عظيمة الاثر وثقافة حية فعالة .. انه دراسة حية تمكنك من ان ترى ما تحت سطح القلب البشري وتزودك بأفكار كثيرة مفيدة ، وتفتح عينيك على امور كثيرة كانت خافية عليك ، وتعدل الكثير من افكارك وتصرفاتك واتجاهاتك .. اثرها لا يقل عن اثر ما تقرأه في الكتب ان لم يفقه .

انك لا تستطيع ان ترى الحياة في حركتها الدائبة وتفهم الناس وتعرفهم جيدا ، وتحكم عليهم ، وانت تعيش مع نفسك بين جانبي خندق .. ان انسانا يعيش وحده في جزيرة بعيدا عن الناس لا يمكن ان يكون له ادراك ناضج.

كل مجتمع في العالم مكون من أنماط عديدة مختلفة من الناس في قدراتهم وتفكيرهم وتصرفاتهم .. ولذا فاننا كثيرا ما نجد انفسنا مختلفين عن الاخرين ، او ان الاخرين مختلفون عنا .. هذا وضع طبيعي يجب ان تدركه جيدا .. لا تنفر من احد ولا تفرض عليه وجهة نظرك اذ يجب ان تسلم لكل فرد بحريته الفردية من غير نقد او تحامل .

استمع الى كل راي واحترمه حتى وان كان غير مقنع لك . لا تغضب اذا لم اومن انا بما تؤمن انت به ؟! انت ايضا لا تؤمن بما اومن انا به . لم التناحر والتنافر أو التعصب والقطيعة ؟

حاول أن تكون ودودا تشعر كل من تتعامل معه بأهميته ، ولن تعدم جانبا طيبا فيمن تعاشرهم ، تدخل منه الى قلوبهم . تجنب التحقير والتهكم والسخرية . كل انسان يمقت ان يشعره احد بالتفاهة والهوان . لا تجرح شعور احد ولا تسيء اليه . ان لم تجد ما تطري به الناس فلا تذمهم . لا تبخل بالكلمة الحلوة، قلها دائما ، قلها في كل وقت . انها في كل موضع من الحياة تعمل عمل السحر في نفوس كل من تحتك بهم حتى ولو في الطريق . ان الكلمات الحلوة كما يقول (جورج كرين) هي اقوى الدوافع لارادة الخير على هذه الارض .

لا تعامل كل الناس على انهم اهل منطق حتى لاتوقع نفسك في مضايقات وهموم انت في غنى عنها ، لان هناك نفوسا تملأها الاهواء والغرور والحماقة وتتحكم فيها آراء مسبقة لا يجعلهم ضيق عقولهم وضحالتها ينزلون عنها .

لا تجادل هؤلاء او تحاول اقناعهم بغير ما استقر وجمد في عقولهم ، لانه لا ينفع معهم منطق . من المستحيل ان تقنع الجاهل والاحمق والمغرور وضيق الافق بالحجة .

دع كل يوم من الحياة يغسل مساحة اكبر من نفسك .. لقد خلقنا للشمس لا للمستنقع المظلم الذي تنعكس فيه اشعتها . في الحياة الكثير من صور الجمال الحسي والمعنوي ونحن لا نلقي اليها بالا ، لان اشياء كثيرة غير جميلة تشغلنا ، تشغل فكرنا وقلبنا ونظرنا .. اكثر تفكيرنا فيما لا يمت الى الجمال بصلة . اننا كما يقول (ارديس ويتمان) نقضي أغلب اوقات حياتنا ندور في طاحونة فارغة، نأكل وننام ونذهب الى اعمالنا ولكننا كالنمل الذي يولد تحت الارض يعيش في الظلام وقل ان نعلم كيف يبدو الضوء .

وليت الامر يقتصر على افناء حياتنا في الامور اليومية العادية دون ان نمتع انفسنا بما في دنيانا من اشراق وجمال بل اننا نضع انفسنا في امور كثيرة صغيرة تافهة لا قلب لها ولا روح وتفقد انفسنا اللحظات التي نرى فيها الجمال والكمال التي نحس اننا نعيش فيها بكل جوارحنا . في سبيل لحظة من هذه اللحظات المشرقة في حياتنا .

يجب ان نضحي بالاف غيرها من لحظات اجترار التوافه التي تشغل تفكيرنا كثيرا وتحطم اعصابنا .. انه سلوك ابله أن نغض الطرف عن كل ما في دنيانا من جمال ونشغل أنفسنا وكل تفكيرنا بما فيها من منغصات .

استمتع بحياتك .. استمتع بكل ما حولك من جمال .. درب نفسك على رؤية شيء جميل وفعل شيء جميل .. ان لم يكن الشيء جميلا فلا تصنعه ، وان لم يكن حقا فلا تقله .. تأمل شيئا جميلا كل يوم : زهرة ، سحابة ، نجمة ، فراشة .

اجلس على ضفة نهر او شاطىء بحر عند الغروب ، او حول غدير ماء تحيط به الاشجار تستمع الى طائر يغرد او ترى فراشة تدق بجناحيها الهواء او حشرة صغيرة تسعى في صمت بين ذرات الحصى والرمال ..

متع نفسك بسحر الحياة الذي يحيط بك في كل حين.. تأمل الطبيعة تفهم منطقها وتجمل وجدانك وتكسبك صفاء النفس .. الطبيعة تحدث محبيها ، وتناجيهم وتصرفهم عن الماديات وتهييء نفوسهم لتلقي درسها .. همسها الخالد في القلب يشعر الانسان بجلال الحياة وسعادة سماوية خالدة .. يا لها من لحظات سعيدة نعبر فيها كياننا الارضي ونستمتع فيها ببوارق خالدة من الراحة النفسية الصافية !!

في هذه الفترات الصافية الرائعة نعبر المشكلات وكل المضايقات ونعيش في شبه حلم روحي لا يعرف وزن المادة. في هذه الفترات نحس بكياننا الروحي بعيدا عن الاضطراب انه ظلم لانفسنا ان نهدر طاقاتنا الروحية ونفنى في سبيل غايات مادية وفي نزاعات بدائية .. ولا نعيش حياتنا .. نفقد صفاء نفوسنا ولا نتذوق الحياة في عمقها الجميل .

وفي هذا يقول الفيلسوف الصيني (لين يوتانج) : (ألا ما اقسى هذه الانسانية التي يكد فيها الانسان ويشقى ويقلق حتى يبيض شعره وينسى ان يستريح) . ما احوجنا ان نلتمس البهجة في ما يبهج العين والاذن ويهذب طبيعتنا البدائية العارية وغرائزنا البدائية المظلمة .

اننا في حاجة — كل يوم — الى لحظات صمت وتأمل ، لنعود الى الينابيع الصادقة التي تصدر عنها الافكار العظيمة السامية البناءة ... في ساعات الصمت الحي تستيقظ

بصيرتنا وينفتح لنا عالم الخلق والابتكار . اننا في حاجة الى الصمت الخالق المبدع المليء بالتصورات التي توحي بها البصيرة الشفافة .. في ساعات الصمت والتأمل تحلق ارواحنا في عالم نوراني بعيدا عن تراب الارض . وفي هذا يقول (جيته) شاعر الجمال والحس الراقي والذهن المستطلع : (التأمل يقربنا كثيرا من نفوسنا ويمنحنا لحظات نجد فيها كثيرا من الشبع والري والظمأ للمزيد) ..

لا بد من لحظات الاشراق هذه لتوقظ فينا الفكر الجديد وتهيىء لنا التفكير الصادق العميق ، وتمنحنا الهاما جديدا ، وتفرغ اعماقنا من الامور التي اعتاد الناس الا يروا شاغلا لهم في حياتهم غيرها . ساعات الصمت تثري حياتنا الذهنية والوجدانية وفيها نستعيد ما احترق من طاقاتنا العقلية والنفسية.. في ساعات الوحدة والاستجمام والاسترخاء والتأمل الواعي تتفجر في عقولنا وقلوبنا اسمى الافكار واجمل المشاعر . كل الافكار العظيمة التي اضاءت للبشرية طريقها وليدة السكينة والتأمل .

حاول ان تصل الى ذاكرتك كل يوم بعض الافكار والكلمات الطيبة الموحية .. حكمة ، او مبدا نبيل او خبرة انسانية راقية ، تأملها وتفكر فيها وتقلبها على وجوهها ، وانت في الطريق او وانت تنظر من النافذة او تحتسي قهوتك .. او وانت في خلوة بين احضان الطبيعة .. هذه الافكار السامية تضيء اعماقك وتستقر فيها لكثرة ما تتأملها وتعجب بها فتندس في عقلك الباطن وتصبح جزءا من تفكيرك وسلوكك .

ان شعرت ان الدنيا حولك فقدت بريقها ولا دفء فيها ، ابحث عن الحب وسط الزحام والضجيج فقد تجده عنده صديق او في هواية .

وان رايت الواقع مظلما فالخيال دواؤك . حاول ان تنظر الى ما وراء الستار والجأ الى عالم الامل والرؤى فترات قصيرة كفترات الاحلام ، تريح فيها نفسيتك وتخفف الضغط على اعصابك .. لتعود الى مواجهة موقفك بروية وهدوء .

وان ضاقت بك الدنيا وكان الموقف قاسيا فوق قواك وقد أعيتك كل الحيل فالجوء الى الله ينجيك من اليأس والانهيار .. المهموم المكروب يشعر بالراحة عندما يصرخ من اعماقه بكل قوته قائلا (يا رب) . الق على الرب همك فهو يعولك ويمنحك القوة التي تنقذك من الظروف التي هي أقوى منك .

بالاضافة الى كل هذا ، يريحني كثيرا في وقت الازمات ان اقوم بعمل يدوي .. اصلح شيئا في المنزل .. أزرع او اروي او اصفر في حديقتي .. ارتب الكتب في مكتبتي .. أرجع الى اوراقي القديمة ، افرزها واتخلص مما لا فائدة منه .. وكثيرا ما الجأ الى دفتر مذكراتي ادون احساسي في الموقف الذي اعاني منه وكل ما يدور حوله من افكار وخواطر . دفتر مذكراتي له فضل كبير في اراحتي من عواصف اعماقي التي تهدأ كثيرا عندما افرغها على الورق .

وهناك شيء آخر ضروري ولا غنى عنه لحفظ التوازن العقلي والنفسي في حياة كل منا . الهواية . لا بد ان يكون لك هواية تمتص سأمك ومللك وتحتمي فيها من انواء الحياة.. الهواية تجعلك تشعر بالراحة النفسية وانت تعيش ساعاتها وقد ابعدتك عن مشاغل الحياة العادية وهمومها العارضة ، تحميك في شبابك ، وتقضي على مللك وتشغل وحدتك في شيخوختك ، لحظات ممارسة الهواية هي الحياة الطيبة المحبوبة الحافلة الغنية في حياة الانسان ، انها لحظات السعادة والراحة النفسية ..تبعدنا عن قلقنا ومللنا وهمومنا ونحن ننغمس فيها .. وتذهب بنا بعيدا عن مشاكل الحياة وهمومها ورتابتها . والهواية ليست فراغا بل هي لحظات خلق وابداع وانتاج محبوب..

انها شيء ايجابي نعمله ونرى له ثمرة كالكتابة والموسيقى واستنبات الازهار ، والعناية بالحديقة والرسم والاعمال اليدوية المختلفة ...

الهواية السلبية قد تبعد قلقنا وضيقنا لحظات ، ولكنها لا تغسل نفوسنا ، او تخفف من حدة همومنا ، كما يحدث في ممارسة الهواية الايجابية .. ما لعبت النرد أو الورق مرة لأتخلص من ضيق اعاني منه الا أحسست به مكثفا بعد ان فرغت من اللعب ، وعلى العكس من هذا اندماجي في عمل يدوي او في الكتابة ، فانني اخرج بعد الفراغ منها وقد زال عني الضيق واحسست براحة نفسية غامرة .

سيطر على انفعالاتك الضارة بقدر المستطاع وشجع انفعالاتك السارة .. الحياة صراع مستمر وهي شاقة ومضطربة والفترات الهادئة فيها قصيرة ونادرة فاغتنم الساعة التي انت فيها .. لا سبيل لتهوين الخطب الا بعد فترة من الزمن . حاول ان تنسى بكل الطرق ولا تجتر همك .. وجه فكرك الى شيء آخر ينسيك همك او يخففه .

الذي يحتضن حزنه في قلبه يحرك بيده سكينا في جرحه ويجعله ينزف ولا يلتئم .. قد يكون انهماك المرء في عمله او اغراق تفكيره في شيء اخر كالهواية - مثلا - دواء مسكنا مخففا لحدة الهم .. ولكن قبل ان تسكن جراحك عليك ان تدرس اسبابها فقد يكون من الممكن تعديل سلوكك او تسلك طريقا آخر يخلصك من ضيقك او يجنبك الوقوع في مثل هذا الضيق .. ليست السعادة في المتعة وحدها وانما في الظفر .. في الانتصار على ما يعترض الطريق من منغصات وعقبات ..

في وسع كل انسان ان يحول كل سالب يصادفه في حياته الى موجب عندما يواجه الحياة مواجهة انشائية ايجابية .. وانسانية .. عش ودع غيرك يعيش ، فليس من المعقول ان تزرع حسكا وتجني عنبا .. لا يمكن ان

يعمل شيء من اجلك ان لم تفعل شيئا من اجل الاخرين.. من يزرع يحصد.. ومن يزرع الشوك لا يحصد الا شوكاً يدمي يديه وقدميه وهو يحصده.

ليست الحياة شكلا ولكنها اسلوب في العيش.. استفد من الحقائق الثابتة في الحياة ولا تحد.. والعثور على الحقيقة ليس صعبا ولكن الصعب الا تهرب منها عند العثور عليها.. تذكر قولة (ديكارت) المشهورة: لا اريد شيئاً سوى معرفة حقيقة الحياة التي علي ان احياها.. ولكن أتريد ان تصل حقا الى الحقيقة؟! انها امامك وفي أعماقك وانت تتجاهلها.. الحقية التي يجب ان نتمسك بها وتظهر في كل سلوكنا هي (عش ودع غيرك يعيش) وهذا ينطبق على الافراد كما ينطبق على الامم. ولكن كيف تصل اليها وانت لا تريد ان ترى الا ما في عقلك وفي تصرفاتك وشهواتك الجامحة؟!

يقول (الدوس هكسلي) أهرب من الحقيقة خوفا على نفسي واشفاقا عليها. ينفر الكثير من الناس عادة من التأمل في اعماق النفس.. انهم لا يريدون ان يزعجوا انفسهم بالمواجهة الصريحة.. انهم يعيشون بأخطائهم وما تعودوه.. لان في التغيير جهدا لا يريدون ان يبذلوه. انهم يرون انه من الصعب الخروج من الرداء النفسي الذي يرتدونه. والحقيقة ان كل انسان بداية اختيار حر مفتوح وفي استطاعته ان يصوغ مستقبله وفق ميوله البناءة وارادته الايجابية الفعالة التي يحركها الميل الكامن.

لا شيء على الاطلاق يمكن ان يحول بيننا وبين الصورة الفاضلة الواضحة لانفسنا الا العادات السيئة مثل الكسل وسلوك الطريق الهابط.. لن تكون ارادتنا واهية ونحن نهدر طاقاتنا الروحية وقيمنا العليا في بحار الشهوات والميول الحيوانية والمبادىء البدائية. الحياة لا تعطينا خير ما فيها بلا مقابل، فنحن نحصد بقدر ما نزرع فيها وبقدر ما نبذل من جهد وكفاح وعزم ومثابرة وصبر..

ان الاعمال العظيمة والنفوس الراقية التي رفعت من شأن الانسانية لم تكن الا نتيجة سلسلة من الجهود الدائبة والكفاح والمثابرة والتضحية. والانسان الراقي هو انسان يجوع عقله فيفكر، ويجوع قلبه فيحس، وتظمأ نفسه فيجاهد.. تتوقف النتائج الطيبة او السيئة على الوان سلوكنا، وعلى كيفية استجابتنا لكل باعث من البواعث العاطفية والنفسية والاجتماعية التي تحرك حياتنا من السطح الهادىء حتى الاعماق الثائرة..

الفارق بين الانسان العادي وبين صاحب القلب الكبير ليس فقط في المواهب والعقل، ولكن قبل كل شيء في الاخلاق.. بغير حياة القيم الطيبة نلهب الجمرات المدخنة في اعماقنا فتصير لهبا حمراء متقدة تحرقنا أولا وتحرق الناس حولنا.. سبب ضيقنا في الحياة هو اننا نسير في مسارها الضيق الاسفل.. والذي لا يستطيع ان يجد ذاته الفضلى انسان ضل الطريق.. الذي يعيش لحاجاته الطبيعية ودوافعه الاولية انسان بدائي، لا فارق بينه وبين الحيوان غير النطق.. بالارتفاع فوق ذواتنا نعبر طريق الحياة البدائية الوعرة، ونحصل على قوة ذاتية نابعة من اعماق نظيفة..

ليس راقيا من لا يدرب العقل والقلب على المرتفعات التي يصعد اليها لينعم بالنور الغامر والجمال.. اذا اردت ان تهرب من سجن الذات البدائية حاول ان تدرك ما هي الاشياء التي تجعل منك انسانا راقيا، وضع قلبك فيها.. بغير هذا تنفق الحياة هباء منثورا في مستنقع الاوحال البدائية.. ان العيب فينا وليس في دنيانا، والعالم عند كل واحد منا صورة لما يحويه عقله وقلبه، وليس من جهد بشري طيب لا يحمل ثمرا طيبا.

استفد من حياتك الى اقصى حد، واعصر برتقالتك الى آخر قطرة فيها.. فالحياة مهما طالت قصيرة.. متع نفسك ولكن ليس كما يتمتع البدائي الجاهل.. انشد الكمال وارتفع فوق الدنايا، واقم جسورا فوق خطايا البشر واساءاتهم، وكن انت افضل منهم.. جاهد لتكون انسانا حقا، واجعل الحياة الراقية رسالتك.. لتكن حياتك انسانية ممتلئة ولا تكون الحياة موفورة ممتلئة الا بالعقل الناضج الواعي والقلب الكبير.. لتكن لك سحابة تصعد اليها لتحلق هناك مع فرحة الحياة النظيفة.. احبب الحياة الراقية وسوف ترد لك الحياة هذا الحب..

لا تنسى ان لجسدك عليك حقا، وحق الجسد عليك ان يكون صحيحا سليما يسكنه عقل سليم وقلب انساني تخلص من رواسب البدائية.. وبدنك لن يكون سليما الا اذا وفرت له جو الاطمئنان، والبعد عن الاحقاد، والضغائن، والهم، والقلق، التي تسبب الكثير من أدوائه.. لا تستطيع ان تسعد روحيا وجسمانيا وانت تكره.. كل شيء يذوب في وهج الحب.. الانسان يتكون من عنصر الجسم وعنصر النفس وهما كيانه وقوام شخصيته، وكل منهما يؤثر في الاخر تأثيرا كبيرا..

وفي هذا يقول (الكسيس كاريل): (اننا نحتاج الى تذوق الحياة وهذا يتطلب صحة البدن.. والصحة ليست مجرد خلو الجسم من الامراض.. انها نشاط لا يفتر، واعتماد على النفس، وقدرة على ان نكافح ونحب.. وليست هي القدرة على العمل فحسب بل هي تشمل ايضا قوة الاخلاق وحصافة العقل).

واركان الحياة الموفورة بايجاز هي ان تقوم بعمل تجد فيه نفسك، وان تجد شيئا تحبه، واملا ترجو تحقيقه، يستغرقك وانت تسعى اليه، وان تجعل حياتك رسالتك تسعى ان تجعل منها شيئا راقيا ساميا.

عالمنا اليوم يعاني من صراع الانسان ضد الانسان، ولا خير ولا راحة لنا في دنيانا، الا بصراع الانسان مع ذاته للارتقاء بها.. هناك ازمة في المبادىء الاخلاقية وفي اهداف

الحياة الصحيحة وفي قيمها ووسائلها ، ولا يجدي التشدق بالقيم فانه ـ كما يقول (جون كيتس) ـ لا يمكن ان يصبح شيء حقيقيا حتى نجربه ـ والذي يفيد من تجارب حياته وحياة جيله وتجارب الاجيال السابقة يعرف اين يضع خطواته ويضمن الغلبة في ميادين الحياة المجاهدة وتتكامل شخصيته ، وشتان بين مجرد الوجود وبين الحياة في ملئها وكمالها .. كثيرون منا في امكانهم ان يقلبوا صفحة جديدة في حياتهم اذا استطاعوا ان يتخلصوا من الصفحات القديمة ليحققوا لانفسهم الذات المتطورة المدركة الفاضلة ، ويختاروا موقفهم في معركة الانسانية النبيلة الراقية .. التي تقاس عظمتنا فيها بقدرتنا على اسعاد الغير .

● عش انسانيتك في ملئها وارقى حالاتها الذهنية والوجدانية ..

● عش واستمتع ودع غيرك يعيش ..

هذا هو الطريق الامثل المؤدي الى السعادة الحقيقية.

القاهرة — ايليا حليم حنا

الحب العائد

☆

عادت الي فعاد الحب والغزل … فكل شيء امامي باسم جذل

حتى التراب الذي بالامس اسحقه … اليوم يحلو لعيني، معشب خضل

غريدة الروض ما انشدت قافية … الا وعطف الهوى من سكرها ثمل

ما غبت عن خاطري يا حلوتي ابدا … ولم يغب عن فؤادي الوامق الامل

هذا الفؤاد الذي خلفته دنفا … لا النصح اسعفه كلا ولا العذل

سرى غرامك في روحي وفي جسدي … هيهات لي عنك يا كل المنى بدل

رسالة منك وافتني سعدت بها … عقود فل ارى ام هذه جمل

ورغم كل جراح الصمت نازفة … ما حادني عنك لا شغل ولا عمل

مرت علي ليالي الهجر كالحة … فكم ارقت الى ان ملني الملل

على السرير همومي وهي مطبقة … كم قلبتني وكم ضاقت بي الحيل

جنباي قد اشفقا مما اكابده … كانما فيهما الاشواق تشتعل

والله يا روح روحي ما سلوتك لا … والف هيهات عنك القلب ينتقل

عهد لعينيك مني لست اخفره … انا الذي بوفائي يضرب المثل

بغداد ص.ب ٤٦٧ — باقر سماكة

اليوم المدرسي الأول

بقلم وليم سارويان
ترجمة حسني سيد لبيب

هو ولد صغير اسمه « جيم » . وهو الطفل الاول والوحيد للدكتور «لويس دافي » ، ٧١٧ مبنى « ماتي » . وكان اليوم يومه الاول في المدرسة ، ابوه فرنسي . كان ابوه فرنسيا ، ورجلا مكتئبا في الاربعين ، مما افعم صباه بالشقاء والتعاسة والطموح . ماتت امه : لقد ماتت عندما ولد « جيم ». وكانت « ايمي » ــ مدبرة المنزل ــ هي المرأة الوحيدة التي ارتاح لمعشرها .

البسته « ايمي » ملابسه المدرسية واخذته الى المدرسة . « جيم » احب « ايمي » ، ولكنه لا يحبها لانها تأخذه الى المدرسة . قال لها ذلك . وطوال الطريق الى المدرسة يقول لها ذلك .

قال : انا لا احبك . انا لن احبك بعد الآن .

قالت المربية : وانا احبك .

قال : لماذا اذن تأخذينني الى المدرسة ؟

فيما مضى ، كان يسير مع «ايمي» متقدما اياها ، طوال الطريق الى حديقة « كورت هاوس » ، من اجل الفرقة الموسيقية مساء الاحد . اما هذا السير الى المدرسة فانه مختلف.

قال : لم ؟

قالت المربية : كل انسان يجب ان يذهب الى المدرسة .

قال : هل ذهبت الى المدرسة ؟

قالت « ايمي » : لا .

قال : اذن .. لماذا اذهب انا ؟

قالت المربية : انت ستحبها ؟

وسار معها صامتا ، ممسكا بيدها .. قال :

ــ انا لا احبك . انا لن احبك بعد الآن .

قالت « ايمي » : وانا احبك .

قال من جديد : اذن .. لماذا تأخذينني الى المدرسة ؟

ــ لماذا ؟

استطاعت المربية اخافة الولد الصغير ، ابان ذهابه الى المدرسة .

قالت : انت ستحبها . اعتقد أنك ستغني الاغاني وتلعب الالعاب .

قال : انا لا اريد ان اذهب .

قالت : سأحضر وآخذك بعد ظهر كل يوم .

اخبرها من جديد :

ــ انا لا احبك .

أحست بأسى شديد من الولد الصغير الذاهب الى المدرسة ، ولكنها استطاعت ان تجعله يذهب .

كان مبنى المدرسة موحشا جدا بالنسبة لها وللولد . هي لا تحب ما يولد لديها مثل هذا الاحساس اثناء صعود الدرج معه ، وودت الا يذهب الى المدرسة . الصالات والغرف اخافتها واخافته ، ورائحة المكان ايضا . ولم يحدث ارتياح ما للمدير السيد « باربر » .

لم تسترح «ايمي» للسيد «باربر»

قال السيد « باربر » :

ــ ما اسم ابنك ؟

قالت « ايمي » :

ــ انه ابن الدكتور «لويس دافي» . اسمه « جيم » . وانا مربية الدكتور « دافي » .

قال السيد « باربر » :

ــ « جيمس » ؟

قالت « ايمي » :

ــ ليس « جيمس » ، فقط «جيم»

قال السيد « باربر » :

ــ وهو كذلك . اهناك اسم اوسط ؟

قالت « ايمي » :

ــ لا . هو اصغر من ان يدعى باسم اوسط . « جيم دافي » فحسب

قال السيد « باربر » :

ــ حسنا . سنختبر صلاحيته للصف الاول ، فاذا لم يحقق نجاحا فسنختبر صلاحيته لروضة الاطفال.

قالت «ايمي» : لقد طلب الدكتور « دافي » ان يلتحق بالصف الاول ، وليس روضة الاطفال .

قال السيد « باربر » : وهو كذلك .

فطنت المربية الى مبعث خوف الولد الصغير ، الجالس على الكرسي وقد حاولت ان تدعه يعرف مقدار حبها له ، وكم هي تأسف لكل شيء. ارادت ان تقول له شيئا مريحا عن شيء ما ، لكنها لم تستطع ان تقول شيئا . وقد كانت معجبة جدا بالطريقة التي نهض بها عن الكرسي ، ووقف بجانب السيد « باربر » ، استعدادا للذهاب معه الى الفصل .

وفي الطريق الى البيت ، اعلنت له عن اعجابها الشديد به .

كانت مدرّسة الصف الاول ، الانسة « بيني » متقدمة في السن ، ممصوصة العروق . كان الفصل مملوءا بالاولاد والبنات الصغار . للمدرسة طابع غريب وحزين . جلس عند نضد وانصت باهتمام .

سمع بعض الاسماء : شارلز ، ارنست ، الفين ، نورمان ، بيتي ، هاناه ، جولييت ، فيولا ، بولي .

اصغى باهتمام واستمع لما تقوله الانسة « بيني » .

ــ « هاناه وينتر »، ماذا تمضغين؟

فالتفت الى « هاناه وينتر » باستحياء . واحب « هاناه وينتر »



من البداية .
قالت « هاناه » : لبان .
قالت الآنسة « بيني » :
ــ ضعيه في سلة المهملات .
وشاهد البنت الصغيرة وهي تمشي حتى مقدمة الفصل ، وتأخذ اللبان من فمها ، وتلقيه في سلة المهملات .
سمع الانسة « بيني » تقول :
ــ يا « ارنست جاسكين » ، ماذا تمضغ ؟
قال « ارنست » : لبان .
واحب « ارنست جاسكين » ايضا التقيا في فناء المدرسة ، والقى « ارنست » عليه بضع نكات .
كانت « ايمي » تنتظر في الصالة وقت انتهاء الدراسة . وكانت مكفهرة وحزينة كلما لمحت تلميذا ما ، الى ان شاهدت الولد الصغير . واندهشت لانه لم يتغير ، ولم يتضايق ، او ربما لم يصبح على قيد الحياة ، وفتك به تماما . لقد كانت المدرسة ، وكل ما يتعلق بها ، مخيفة جدا بالنسبة لها. امسكت بيده ، وخرجت به من المبنى يتملكها غضب وزهو .
قال « جيم » :
ــ ما الذي يلي التاسعة والعشرين؟
قالت « ايمي » : الثلاثون .
قال : وجهك قذر .
على مائدة العشاء ، جلس ابوه هادئا للغاية .
وفي الصباح ، طلب من ابيه شلنا .
قال ابوه: ماذا ستشتري بالشلن؟
قال : لبان .
اعطاه ابوه شلنا . وفي الطريق الى المدرسة ، توقف عند محل السيدة « ريلي » ، واشترى باكو « سبير منت » .
سأل « ايمي » : اتريدين قطعة ؟
قالت المربية : اتريد ان تعطيني قطعة ؟
فكر « جيم » في هذا لحظة، ثم قال: نعم .
قالت المربية : هل تحبني ؟
قال « جيم » : انا احبك . فهل تحبينني ؟
قالت المربية : نعم .
ــ وهل تحب المدرسة ؟
ــ لم يعرف « جيم » اجابة محددة لكنه عرف انه احب كل ما يختص باللبان ، و « هاناه وينتر » و« ارنست جاسكين » .
قال : لا اعرف .
سألت المربية : هل تغني ؟
قال : لا ، نحن لا نغني .
قالت : هل تؤدي العابا ؟



حسني سيد لبيب

★

قال : ليس وقت الدراسة . في الفناء يكون ذلك .
واحب كل ما يتعلق باللبان حبا شديدا .
قالت الآنسة « بيني » :
ــ يا « جيم دافي » ، ماذا تمضغ ؟
ــ ها ها ها ، شرد . ثم قال: لبان .
وخطا نحو سلة المهملات ، ثم عاد الى مقعده ، وشاهدته «هاناه وينتر» و « ارنست جاسكين » ايضا .
واعتبر ذلك افضل ما في المدرسة .
وبدا هذا الامر يتطور كذلك .
وصاح في فناء المدرسة :
ــ ماذا تمضغ ، يا « ارنست جاسكين » ؟
قال « ارنست جاسكين » :
ــ لحم فيل نيء . ماذا تمضغ يا « جيم دافي » ؟
وحاول « جيم » ان يفكر في الشيء الاكثر طرافة في المضغ ، فلم يهتد اليه
قال : لبان .
وضحك « ارنست جاسكين » بصوت اعلى من « جيم » ، الذي ضحك عندما قال له « ارنست جاسكين » انه يمضغ لحم فيل نيء .
انه من الطرافة الا تجد ما تقوله .
واثناء العودة الى الفصل ، لمح « جيم » « هاناه وينتر » في الصالة
قال : يا « هاناه وينتر » ، ما اشهر نوع تمضغينه ؟
وفزعت البنت الصغيرة . ارادت ان تقول شيئا لطيفا يعبر بصراحة عما احست به ، لما يقوله لها «جيم» عن الاسم ، ويسا ها هذا السؤال المضحك مما جعله مثار سخرية . لكنها لم تجد شيئا لطيفا تقوله، فهم يتواجدون اغلب الاوقات في الفصل، حيث الوقت غير متسع .
قالت بانفعال محتد :
ــ توتي فروتي .
فيما يبدو ان « جيم » لم يسمع ابدا مثل هذه الكلمة الرائعة ، وظل يردد الكلمة بينه وبين نفسه طوال النهار .
قال : ماذا تمضغين يا « ايمي لارسون » ؟
وحكى لابيه كل شيء على مائدة العشاء .
قال : كان هناك تل . وفوق التل طاحونة . واسفل الطاحونة مرعى .
واسفل المرعى مفتاح . ما هذا ؟
قال ابوه : لا اعرف ما هذا ؟
قال الولد : طا مر مفتا (*)
فرحت المربية .
قال « جيم » : طاحونة . مرعى .

شادن

شادن هي حفيدتي من ابنتي رفيف ، في الثانية من عمرها ، وهي آية في الجمال وخفة الروح والذكاء ، وتعيش مع ابويهـا في القدس الحبيبة ، قلت فيها :

يا شادن ! يا ابهى الزهر … يا وجهـا ازرى بالقمر
يا شمسا ارسلت الانوا … ر الى لبي ، والى بصري
ففـؤادي ان ورد الشفتيـن يزوغ القلب عن الصدر
والطرف اذا شهد الخدين ابى الا سل النظر
وعدا ليشم اريج الور … د ، وروحي تركض في الاثر
يا اعذب صوت في الدنيا … انهلت بـه سمع الوتر
وفتنت البلبل والحسو … ن وكل هزار في الشجر
واثرت بـه بحر الالهـا … م ، فنور وحيك لي عمري
فكسفت به غزل الشعرا … ء ، لحون الحب مدى العصر
ونسيبي فيك غدا تاجا … وحروفي فيه كالـدرر
وعصرت فتى صدري راحا … لك يا املي عصر الثمر
وصنعت شغافي كاس هوى … لك شادن يا هبة القدر
وشربت النخب ، وبي وجد ، … في كل مساء السحر
لو كان جناني في سقر … من هم احمر او كدر
او يأس ، في عينيه بدا … شرر ينهال على شرر
او داء ، ليس لنا امل … ان ننجو فيه من الخطر
واتتني شادن مشرقة … لغدت فردوسا لي سقري
ما بنت رفيف غير منى ، … قلبي قد نال بها وطري

محمد العدناني

مفتاح . توتي فروتي .
قال ابوه : ما هذا ؟
قال : لبان . النوع الذي تمضغه « هاناه وينتر » .
قال ابوه: من تكون «هاناه وينتر»؟
قال : هي معي في الفصل .
قال ابوه : اوه .
وبعد العشاء ، جلس على الارض يلعب بالنحلة الصغيـرة ذات الالوان الحمراء والزرقاء والصفراء ، والتي تزن اثناء دورانها حول نفسها. ورأى ان كل شيء على ما يرام . ما زال العالم شديد القتامة ، وان كان اللبان شيئا مسليا جدا ، وكذلك « هاناه وينتر » . وخطر على باله لحم الفيل النيء بابتهاج داخلي .

قال بصوت عال لابيـه الذي كان يقرأ جريدة المساء :
ــ لحم فيل نيء .
طوى ابوه الجريدة، وجلس بجانبه على الارض . ورآتهما المربية جالسين جنبا الى جنب على الارض ، ولسبب ما انهمرت الدموع من عينيها .

(*) هذه الكلمة مشتقة من الحروف الاولى من الاسماء الثلاثة : طاحونة ومرعى ومفتاح. والكلمة هي المقابل العربي للكلمة الانجليزية التي اشتقها الكاتب من الاسماء الثلاثة في لغته الانجليزية . « المترجم »

حسني سيد لبيب

عبد الكريم بن ثابت :
القصيدة والحب والحرية

بقلم العربي بنجلون

* * *

في مدينة فاس ، عاصمة الثقافة بالمغرب ، برز شاعرنا الى الوجود ، فعب من مفاتن الحياة ، وثمل من غصصها .. فكانت شاعريته الفياضة تشدو بجمال بلاده ، وجمال الطبيعة وجمال الحرية الانسانية ، وانعتاقها من الاسر والقيود .

قال عنه الاديب المغربي عبد الكريم غلاب : « ملأت عليه حرية بلاده كل احساسه ، وكانت ملء قلبه وعاطفته ومشاعره جميعا ، وقد وزعت احساساته مع هيامه بالطبيعة والجمال ، فكان شاعر الحب ، وكان شاعر الحرية » . ولد الشاعر عام ١٩١٥ من اسرة ذات يسار ، وتلقى تعليمه الابتدائي بالمدارس الفرنسية سنة ١٩٢٨ ، لكنه تمرد عليها ليسعى بنفسه الى حلقات جامعة القرويين متطلعا الى دراسة اللغة العربية ، منكبا على الدواوين الشعرية ، يتغنى بقصائدها ، ويهيم في جمالها ، ويحفظ الكثير منها .

ويذكر الاستاذ غلاب في توطئته لديوان (الحرية) ، ان ابن ثابت تأثر بجولاته في الاحراش والسهول المحدقة بفاس ، حيث كان يقضي الايام والاسابيع متذوقا ، يتأمل البادية وما فيها من الحسان اللاتي قال عنهن ابو الطيب المتنبي :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب

وكان احب شيء اليه أن ينأى عن صخب الحياة بالمدينة ، ويلتجيء الى ركن قصي في مقهى قبالة نهر يتوسط حديقة (جنان السبيل) ، فيخلو الى الشعر يقراه ، والى الورق ينظم شعرا او يكتب مقالا نقديا او قصة ، وهذه الظروف طبعت شخصية ابن ثابت في ميعة شبابه .

الى وادي النيل

وقبيل الحرب العظمى الثانية ، هاجر الى القاهرة في طلب العلم ، فالتحق بكلية الآداب ، وفيها تفتحت مداركه الثقافية والادبية ، والفى مجالا ارحب لينسلخ من قيود المجتمع التي تدجن الفرد ، وتعوق طاقته الابداعية عن التعبير الطليق من اصفاد التقليد . الا ان ابن ثابت ظل كسير النفس ، رهيف الحس ، يؤكد ذلك الكاتب السوري عبد المعين الملوحي بقوله : « عرفت عبد الكريم بن ثابت في القاهرة عام ١٩٤٣ . كنا طالبين في كلية الآداب ، وكنا نسكن في شقة تقع على سطح بناية عالية في الدقى ، كان يقضي اكثر فترات راحته في التامل ، وفي قرض الشعر ، يتكوم على نفسه ، ويسحب انفاسا من لفافته ، ويضع راسه على كفه ، وامامه قلمه وورقته ، ثم يختلس من حين الى حين فرصة من فرص الالهام ، فيسجل قصيدة بخطه المغربي الغريب ، كان رقيقا وكنت قاسيا ، وكان قليل الحركة وكنت دائم النشاط ، وكان مهذب الالفاظ وكنت شديد الكلام ، وكان يثير الذهول ، وكنت دائم اليقظة ، كان ما بيننا مختلفا من كل الوجوه ، ومع ذلك فقد اجتمعنا على صداقة صافية » ...

واقبلت محلة المطالبة بالاستقلال حوالي ١١ يناير ١٩٤٤ ، فكان ابن ثابت من اكثر شباب المغرب الذين ساهموا في تكوين (رابطة الدفاع عن مراكش) تحمسا لفكرة الحرية ، ومن الذين هيأوا المذكرة التاريخية التي عرضتها الرابطة على سفارات الحلفاء ، وقنصلية (فرنسا الحرة) بالقاهرة ، تلح على استقلال المغرب .

القدر بالمرصاد

وفي عام ١٩٤٥ احرز ابن ثابت على الاجازة في الادب من الجامعة المصرية ، ثم عاد الى وطنه ليشارك في تحرير شعبه ، وشهد افراح الاستقلال السياسي سنة ١٩٥٦ . عمل اثرها بالسلك الدبلوماسي كاتبا في السفارة المغربية بتونس ، لكن القدر لم يمهله حتى يرى انتاجه مطبوعا تتناوله الايدي . فقد عاجلته المنية يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٦١ ، الا ان هذا لم يحل دون ان تخرج اعماله الادبية الى النور .

لقد احس الاستاذ غلاب ان من غير الوفاء للادب العربي في المغرب ان تطوى هذه القصائد مع جسد الشاعر فجمع اشعاره المبثوثة في المجلات والجرائد المغربية ، كـ (رسالة المغرب) و (العلم) و (دعوة الحق) وطبعها بين دفتي ديوان (الحرية) .

ولابن ثابت مؤلفات مخطوطة، منها مجموعة قصصية ومذكرات عن الحياة في المغرب، حرر كثيرا منها في الصحف المغربية ، باستثناء (حديث مصباح) الذي تضمن احاديث في الفن والادب والنقد والاجتماع .

وهذه الاحاديث تتطرق الى الحرية والفن ، فالفنان لا يمكنه ان يحيا بدون حرية ، هذه الحرية الشخصية التي لا تقيدها قيود : « الفنان الحر رسول حمل رسالة سماوية عن طريق الموهبة والالهام لادائها الى بني قومه بل الى الانسانية جمعاء » ، ان الذين يطالبون الفنان باجتناب هذا الشيء أو ذاك لانهما من المثالب ، فانهم — في

نظر ابن ثابت ـ يقتلون الفن والفنان، وهم البلاء الذي يحل بالامة ، لانهم يطفئون نار الموهبة ونور الالهام .

ويرى ابن ثابت ان كل فن ينطوي عن الجمال ، وان كل فنان يحب هذا الجمال : « نحن نشعر اننا في حاجة الى من يقوي فينا الاحساس بالجمال ، ومن يطهرنا ويطلعنا على مناحي النقص في الطبيعة وهذه هي وظيفة الفنان » ، كما يرى ان المراة ما زالت وستظل الى الابد الينبوع الاول للوحي والالهام والابداع الفني في شتى الوانه .

اصالة الشاعر

في متابعة مستوعبة لشعر ابن ثابت ، نعثر على نفثـــات انسانية خالدة تتخطى الحدود ، وحركات نضالية مثالية، وعاطفة قوية تنساب منها الرقة ، وشفافيـــة تتجلى في هيامه بالمجهول البعيد الذي نعشقه ولا نحققه ، والذي نلمحه قريبا قريبا ، وبعيدا بعيدا ، كما تتجلى هـــذه الشفافية في التطلع الى الحرية ، والتخلص من اســـار الزمان ، من قيد اللحظة ، وقيد القصـــور الانساني ، ملتزما بالهيكل التقليدي مع تلوين القوافي والاوزان ، مهتما بشكل واضح بايقاع الشعر الذي يوقعك في حبائله من اللحظة التي تطل فيها على الشاعر ، فاذا انت اسيرها الذي لا يستطيع من اسرها فكاكا ، واذا انت الظامىء الصادي الى هذا المنهل الثر الجميل الذي يروي غلتك ، ولنصغ الى قصيدة (طيف) ، التي تشي بروحـــه العامة ، وموسيقاه العذبة ، وقدرته على التعبير بالكلمة المتالقة :

فتنتني كيـــف اتيـــت وتسربـــت لبيتـــي
انـا فيـه قابـــع كالهـ ـــم حزنـا منذ لبـــت
كيف يـا (نينتي) جئـــت غرفتـي . كيـف حللـــت
خبريني يا ابنـة النـــور اانـت اليـــوم انســـت
هـــوذا قلبـــك الخافـــق بالخســـوف كـامـس
اه منـــه وهـو لا ينطـــق الا مثـــل جـــرس
خافتـــا يشكـــو لي المجهول في رقـــة همس
خبريني يا ابنة النـــور اانـت اليـــوم انـــت
لـم مســـت شعر راســـي فانتشيـــت
وتمليـــت عبيـرا فـــاح منهـــا فسكـــرت
ثم قالـــت : ايها الولهـــان ها اني اتيـــت

وشاعرنا بمناجاته (فينوس) ، يذكرنا بمناجاة لويس اراغون (الزا) ، ومناجاة محمود درويش (ريتا) ، تلك الحبيبة المشرقية التي تسكر برؤاها الافئدة ، ويعربد في وجنتيها القمر . لقد هام ابن ثابت بها حبا ، لكن الايام والمسافات طوت ما بينهما ، هي في المشرق كالطيف الحزين يذرع ، وهو في المغرب كئيب يقبع ، فارســـل الى صديقه ليقول لها :

يا صديقي ، قـــل لفينـــوس : لقد كان وكنت
كان يشقى بـــك حبـــا ويرى العالـم انـــت
ويرى فيـــك خلـودا للمعـاني كـل وقـــت

يعـرف الجنـة والخلـــد اذا انـت ابتسمت
ويرى الفيهـب والسحـر عميقـا ان عبـــست
وتكبـــرت عليـــه فتمنعـــت وجـــرت
ثم اوقــدت لهيـب النـار فيـه وسخرت
كان يدعـوك الى الوحـدة روحـا فابيـت

شاعر الوطنية

ولن تتصل الاسباب بينك وبين الشاعر حتى تتبين فيـــه الانسان المفرط في وقته ، الحساس المرهف في حساسيته. وحسبنا ان نقف هنيهة عند (لك الله يا قلبي) ، ولهـــذه القصيدة حافز خاص حيث حدثت في عام ١٩٤٩ كارثـة طائرة في سماء الباكستان ، ذهب ضحيتها ثلاثة مـــن المناضلين، كانوا عائدين من مؤتمر وطني. هم : د.الحبيب ثامر من تونس ، وعلي الحمامي من الجزائر ، ومحمد بـن عبود من المغرب . كانوا جميعا اعضاء في (مكتب المغـرب العربي) بالقاهرة ، وتصعـــق نفس الشاعر ، ويرتعش وجدانه لهذا الخطب الجلل ، فاذا عينه تسفح الدمـــع سفحا ، واذا لسانه ينطلق بهذه القصيدة الرائعة :

الا خبروني ما دواء بكائيـــا وكيف ترى اسلو وانسى مصابيـا
مصاب لو اني بعت نفسي رخيصة الى الموت ما الفيت بعض عزائيا
بكاه لو ان الله فجر اعينـــا على الارض كانت دمعة من ماقيا
لقد مات من كانوا مصابيح ليلنـا وضم الثرى ـ واحسرتاه ـ الاماتيا

ولم يكونـوا رفقـاء حياة عاديـة ، بل كانـوا رفاقا في المعركة :

وما انا ابكيـهم رفاقـا اضمتهم ولكنني ابكي الجهـاد المثاليـــا
وما انا ابكيهم ضحايا ثكلتهـم وان كان هذا متلف النفس تأسيا
ولكنني ابكي نجومـا تالقـــت ومغربنا الدامي يخوض الدياجيا

وشاعرنا ابن ثابت يحيا طي التاريخ ، يتاثر بأحداثه ويتجاوب تجاوبا انسانيا عميقا مع البشرية في ملماتهـــا وخيباتها وتقلبات حياتها . ففي قصيدته (القيد) يتحدث عن عدو الحرية الذي يكبل اليدين والقدمين ، ثم يتغلغل في الفكر والروح ليحجب عنهما النور وآثار الجمال والفنون فأين هذا القيد ؟ وهل تراه العيون ؟

يجيب ابن ثابت :

اتـراه في يديـا ام ترى في قدميـا ذلك القيد الذي يضحك مني وعليا
ودموعي كلما ارسلتهـــا من مقلتيا شرب الدمع ولما يروه دمعي ريـــا
ايـن ذاك القيـد ايـــن
اتـراه اليـــوم عـــين ؟
كنت مذجئت الى الارض اغني للجمال ولقد كان بعيدا فوق آفاق الخيال
فتطلعت اليه وتمنيـــت الوصـــال واذا القيـــد ثقيل في فمي رغم النضال
ايـن ذاك القيـــد ايـــن ؟
اتراه اليـــوم عـــين ؟

ويراه في الفكر كما يراه في الروح :

هو في الفكر وقد ران عليه منزمان قبل ان يوجد انسي على الارض وجان
قبل ان نعرفـها العز وما ثقل الهوان قبل ان نعرف من نحن وفي اي مكان
هو في الروح التي ما عرفت قط السكينة هو فيها قبل ان تظهر في الارض حزينة

الرصيد الباقي

*

رصيدي من الايام بـــاق قليلــه   فهل مصرف الايام يرضى باقراضي

ارى حاضري ما انفك يرجو زيادة   ومن اين ، والاوراق في ذمة الماضي

يقرب مني مغرب الشمس مضجعي   فهل بعد هذا اليوم تسعى لانهاضي

فيا عامي السبعين زدني هدايـــة   فاني بما توليه من حكمـة راضي

وديع ديب

هو فيها قبل ان توضع في الجسم سجينة   رابض فيها كليث ثائر يحمي عرينه
ايـن ذاك القيــد ايـــن ؟
اتـراه اليـــوم هـــين ؟

وفي قصيدة (ليل وصباح) نفحة من (ارادة الحياة) لابي القاسم الشابي ، فكلاهما تأثر بالمدرسة المهجرية ، لما في شعرهما من نزعة ذاتية تهفو الى الحرية المطلقة وتنفر من التمذهب وتدعو الى المحتوى الفكري الحر ، ولما فيه كذلك من لجوء الى التعبير الرمزي ، فابن ثابت يحثنـــا على الجهـاد :

.. وبعد زمان اطل الصبـــاح   كطفـل على مهـده يبســـم
كعذراء بين مروج البطـــاح   تتيــه وترقـص او تحلـــم
كثغـر الورود كخد الاقـــاح   عـلى حـزن ضاحـك ينعـــم
ونادى المنـادي الكفاح الكفـاح   وداووا بـه ياسكم تسلمـــوا
فما من ســلام وما من نجـاح   بغيـر الجهـاد فـلا تساموا

ويبدو ان الشاعر داخل الاطار الرومانسي ، اراد ان ينظم شعرا تأمليا في الحياة والموت والمصير ، لكنه كان لا يساير تأمله حتى النهاية . نجد هذا في (ليلة) :

لا تسلني كيف كان الامر اني لســت اعــلم
كل ما اعـلم اني بـت في جـوف جهنـم
وقضيت الليـل ، والليــل سعـير يتضرم
وعظـامي بلظى النـار وفيهـا تتحـطم
صائحـا يا رب مـاذا قد جنيت الليـل فارحم
تقفـز الاحرف مـن فيـه شرارات تكـلم
قال لي : ربــك ادرى بـك يـا صاح واحكم
انـت منه قـد طلبت النـار يومـا ، انت اظلم
او لم تسـع اليهـا وتراهـا بـك اكــرم
فـلك النـار التي ابـت اليهـا وتعـلم
فلعـل النـار تهديـــك ، وهدي النـار اقـوم

هذه لمحات عن حياة وشعر الشاعر ابن ثابت ، الذي آمن بالله والجمال والحب والوطن ، وغنى بعاطفة مشبوبة تتخللها شفافية .

القنيطرة ــ المغرب   **العربي بنجلون**

اعلام الزركلي

بقلم وداد سكاكيني

* * *

وقع في يدي متأخرا الجزء الثالث من « الاعلام » في الطبعة الخامسة هذا العام ١٩٨٠ وبعد وفاة جامعه ١٩٧٦ .

واعلام الزركلي كما قال صاحبها اكثر من مرة جمعها من اسفار التراث مطبوعة ومخطوطة ، ومن اشتات الصحف القديمة والحديثة لتكون « قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين » وقد بدأ الشاعر الثائر خير الدين الزركلي عام ١٩٢٧ هذا العمل الضخم ، مهدهدا به نقمته على اعداء بلاده عاكفا على تراث امته ، فكان كلما سنحت له الايام منصرفا الى العمل الذي وهب له علمه وجهده ، فهو بين اكباب عليه حينا وانقطاع عنه مضطرا ، وفي اثناء عنايته به ظهرت موسوعات ومصنفات في مثل موضوعه ومحتواه ، فكان لا بد لجامع الاعلام من الرجوع الى مطالعاته فيها « لتخليص منشوراته مما علق بها من خطأ او نسيان او هفوات وزلات » حتى جاءه الاجل في القاهرة حيث عاش اكثر عمره بعد هجران دمشق وتنقله في عمان الاردنية وفي السعودية وغيرهما .

وابى وفاء دمشق الا ان تقيم له حفل تكريم لذكراه في النادي العربي عام ١٩٧٧ .

ويبدو ان الطبعة الجديدة من الجزء الثالث الاخير وهي التي ظهرت بعد وفاته واشرف عليها قريبه الاستاذ سليم الزركلي قد اضيفت اليها زيادات من جامعها لم تكن فيما سبق منها فاحب القريب الكريم ان يقحم بين من بدأت اسماؤهم بحرف الزاي بعد زكي الدين لمحة من ترجمة لصديقه الدكتور زكي المحاسني الشاعر الراحل ١٩٧٢ فقال الاستاذ سليم الزركلي في حاشية لهذه اللمحة « تفضلت بها ابنته السيدة سماء زكي المحاسني مديرة المطبوعات في المكتبة الظاهرية وانظر مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق وقافلة الزيت والاديب « والشعر العربي المعاصر » وقد نشرت هذه الترجمة كاملة في كتاب « تحية وذكرى » بعد وفاة المحاسني يرحمه الله .

على ان الامانة كانت تقتضي جامع الاعلام او ناقل اللمحة من الترجمة ان يثبتها كما جاءت وتلقاها منها ، فرقم الولادة ١٩٠٩ جعله ١٩٠٨ وخلط بين المطبوع والمخطوط من مؤلفات المحاسني ، كما اضيف الى هذا قوله : « وللمحاسني نظم في بعضه جودة ـ ديوان خ » ولم يكن المحاسني الشاعر قد جمع ديوانه او عرضه مخطوطا وانما كان الجامع او الناقل يتتبع شعره بمرارة ..

وممن جاء ذكرهم في الطبعة الجديدة من الجزء الثالث للاعلام : سلامة موسى الكاتب المصري الكبير ، فقد وصفه الزركلي بانه « مضطرب الاتجاه والتفكير ، وانه كان ... » ص ١٠٧ .

وجاء في ص ٢٤٣ ترجمة لعادل الغضبان قال فيها صاحب الاعلام : « متأدب ، له نظم اكثره في المناسبات ، عمل في مطبعة دار المعارف ، سوري متمصر ، حلبي الاصل .

وعادل الغضبان يرحمه الله كان شاعرا اديبا معروفا في حياته وآثاره ، وكان استاذا كبيرا في المعاهد العليا بمصر ورئيسا لتحرير مجلة « الكتاب » في الخمسينات ومستشارا لدار المعارف ثم مديرا لها في القاهرة حتى غاب عن الدنيا ، فهل كل عامل في المطبعة يكون من اشهر الرجال والنساء » في اعلام الزركلي ؟

وقال الزركلي في صلاح الاسير الشاعر اللبناني « متأدب » له نظم من النثر المسجوع جمعه في ديوان سماه « الواحة » فكيف جعل للنثر المسجوع ديوانا وما سماه كتابا ؟!

وقال الزركلي واصفا صلاح لبكي الشاعر اللبناني « اديب لبناني له نظم ونثر في رسائل طبع منها « ارجوحة القمر » والارجوحة عنوان الديوان للشاعر لبكي .

ويرى القارىء ان جامع الاعلام على ذوقه كان سخيا في توزيع المواهب والمزايا على خاملين ليس لهم اثر يذكر ، ويضن بالحقيقة على بعض الموهوبين من الغابرين والمعاصرين هذا قليل مما وقفت عليه من الحيف والتحريف في هذا الجزء من الاعلام ، وفيه كثير من الصفحات التي ازدهت بصور حكام وكبراء من الاحياء والموتى ملأوا سطورهم بالثناء على جهد الزركلي وعلمه ، ويبدو ان ما لقي من الثناء والتنويه بفضله قد حجب تبعات النقاد عن القراء فامن صاحب الاعلام جانبهم ، والحق ان جهده الضخم مشكور ومأثور ، لكنه ما خلا من تعسف وتهاون، اما وان صاحب الاعلام قد اعترف بانه كان يعيد النظر فيما نشر من اجزاء كتابه ليستدرك ما نبا من حكمه او رايه عن العدل والسداد فان في وسع ناقد متمرس بالتراجم او موسوعي الثقافة ان يتناول هذا المرجع الكبير بالتحقيق والتمحيص كما صنع المحقق الثبت الدكتور علي جواد الطاهر في نظراته النقدية الى صفحات من « الموسوعة



*

ماذا اقول لمن يهنئني — بالعيد ، ماذا ينفع العيد

ذهب الصبا ومضت مواسمه — ما كان اقصرهن يا غيد

ما حاجة الشادي الى فنن — اما استحال عليه تغريد

ضحك الربيع فلم يثر املي — كم ضحكة للهم تجديد

هذي الخيوط البيض في شعري — هي للصبا المزعوم تفنيد

بوانس ايرس — الارجنتين

زكي قنصل

العربية الميسرة » التي اعدها اعلام في المعرفة والنقد والتاريخ ، فرد الى الصواب ما اصابه من النسيان .

وما يزال الجامعي الكبير علي جواد الطاهر يوالي « تحقيقاته العرضية » في مجلة الاديب وكان لها الاثر البعيد في التصحيح والتسديد ، ولكي لا يشق على الدكتور جواد الطاهر وحده نقد الاعلام ففي طاقة امثاله من المحققين في اللغة والترجمة والمصادر ان يشاركوه وفي طليعتهم الاساتذة الثقات : محمد العدناني وعمر فروخ ويوسف اسعد داغر ومحمد عبد الغني حسن وغيرهم في البلاد العربية اذ يستطيع ان يتناول احدهم هذا الجهد الفردي الكبير في اعلام الزركلي بما ينبغي له من تقدير وتمحيص فيما تجافى عن الصواب ليبقى « قاموس التراجم » قويما سليما بين اشتات الموسوعات والمصنفات في مثل موضوعه ومحتواه ، وان في اهمال المعاجم الجديدة في اللغة والادب والتاريخ دون نقد وتصويب ضياعا للحقيقة واستهانة بتأليفها وجمعها ، وما كانت « الاديب » منذ ظهرت الا مرجعا وموضعا للقائمين بخدمة الضاد وتراثها وثقافتها .

ولعل الاستجابة لهذه الدعوة قريبة مستجبة .

دمشق — وداد سكاكيني



سعيد ابو الحسن

نيران على القمم
سيرة ذاتية

بقلم سعيد ابو الحسن

* * *

(٢)

وروى لي والدي سيرة حياته بالتفصيل منذ ولادته حتى طفولتي .

ولد في مدينة السويداء حيث كان جدي يقيم في بيت يملكه هناك ــ ودخل مدرسة كانت لبعثة بروتستانتية فبرز في هذه المدرسة وكان الاول فيها حتى ان البعثة رشحته ليذهب ويكمل دروسه في مدرسة تابعة لها في زحلة ــ لبنان ــ غير ان جدتي مانعت في ذلك ورفضت خوفا من ان يقتل المسيحيون والدي ثأرا لحوادث ١٨٦٠ المشهورة . وهكذا وبسبب الخلافات الطائفية والخوف الدائم منها فقد والدي فرصته الكبرى في هذه الحياة وهذا هو السر في انه كان اكثر الناس تسامحا ، فكان له اصدقاء من جميع الطوائف ، وما كان يفرق في معاملته بين اي مواطن ومواطن .

وعندما انهى الصف الاخير في مدرسة السويداء، ترك المدرسة ، وخطر ببال جدي حينذاك ان يترك السويداء ويسكن في بلدتنا (عرمان) قريبا من اقاربه المقيمين فيها. فباع بيته في السويداء وهو بيت قديم فيه اعمدة رومانية ونرح .

وعرمان هذه القريبة من صلخد (صرخد التاريخية المشهورة) كان لها دور كبير في تكوين الحياة الشعبية في المنطقة كلها ــ فكانت تسكنها مجموعة كبيرة من الاسر المهاجرة من لبنان ، او حلب ، او راشيا ، او وادي التيم، او غوطة دمشق ، او منطقة صفد في فلسطين ، وكان لها شيخ ، مثل كل قرية ، من عائلة الاطرش ، ولكن هذا الشيخ كان من اقوى الشيوخ ، اذا تكلم باسم قريته ــ في العلاقات مع القرى الاخرى ــ وكان اضعف الشيوخ في علاقاته مع اهل القرية ــ وهو وضع عجيب شهدته مرات كثيرة في حياتي ــ بعد ذاك .

وشهد والدي وهو بعد ، صبي ، حدثا من اهم الأحداث التي سيطرت على تفكير الشعب وحياته وطبعت مستقبله وحددت رسالته الى الابد .

وهذا الحدث هو الثورة العامية ١٨٨٧ ــ ١٨٨٨ (١٣٠٨ هجرية) . وقد كان لعرمان دور حاسم فيها ، وكان المؤتمر الاول والاهم لرجال العامية قد عقد في قرية خربة تملكها عرمان اسمها « المجدل » وقد سميت بسبب هذا المؤتمر « مجدل الشور » ــ اي مجدل الرأي او الشورى .

وكانت خلاصة الحركة العامية انها ترمي الى تملك الفلاحين للارض التي كانوا يزرعونها لحساب الشيوخ . فقد كان النظام الاقطاعي السائد يعتبر الارض وما عليها ملكا للشيخ وان جميع السكان ليسوا سوى فلاحين يقيمون في بيت لا يملكون منه سوى بابه الخشبي او الحجري (١) فاذا غضب عليهم الشيخ يحملون هذا الباب اذا كان من خشب ويرحلون الى قرية اخرى يطلبون جوار وحماية وسلطة شيخ آخر . وكان الفلاحون يستثمرون الارض لحسابهم ولكنهم يخضعون للسخرة : اي انهم يؤدون عملا جماعيا لمصلحة الشيخ ، ايام الفلاحة وايام الحصاد ــ ويقدمون للشيخ كل جدي من نتاج ماعزهم ، او خروف من نتاج اغنامهم . ولا يحق لهم اعداد القهوة وتقديمها للضيوف في بيوتهم . بل كان جميع الضيوف ضيوف الشيخ . والفلاحون يقدمون شيئا من الغلة في نفقات الضيافة ــ حتى الاعراس كانت تقام حفلاتها في بيت الشيخ ــ والنتيجة ان الفلاح لم يكن من مصلحته ان يغرس اي نوع من انواع الشجر ، لانه ليس مطمئنا الى بقائه . غير ان ذلك الوضع المزري الذي قبل به هؤلاء القوم الهاربون

من المذابح ، ومن الحروب الاهلية ، ومن عسف الامراء الشهابيين ، او الحكام الاتراك . اول سكناهم الجبل ، لم يعد من المعقول ان يقبلوا به وقد زال خوفهم ، ووعوا وضعهم السيء ، وذكروا ما كان لهم ولاسرهم من مكانة في بلادهم الاولى ، حصلوا عليها بالجهد الدائم ، وبالعرق والدم المسفوحين بلا حساب . ولم يشاؤوا ان يظلوا مستسلمين الى مصير لا يتفق وابسط حقوق الانسان ولا يحقق تطلعا من تطلعاته . فثاروا وتمردوا واعلنوا استيلاءهم على الاراضي بالقوة ودارت بينهم وبين الشيوخ وانصارهم معارك دامية ، سقط خلالها اكثر من خمسين قتيلا . وكان لا بد للشيوخ من التوسط والقبول بحل يبقي لهم شيئا بدلا من فقدان كل شيء ، فاظهروا انهم فريقان، وتقرب احد الفريقين من رجال العامية وبواسطته قبل هؤلاء بأن يبقى للشيخ نصف ربع اراضي القرية (ثمنها) ما عدا الشيخ الذي تظاهر بالانضمام الى الثورة وهو شيخ عرى ، فقد ابقي له الربع كاملا مقابل هذا الانضمام الظاهري ومقابل ما كان بيته يتحمله من نفقات تجاه الدولة العثمانية التي كانت ترفض التعامل مع الشعب مباشرة بل تتعامل معه بواسطة شيوخه .

احدثت هذه الثورة التي استمدت اسمها من كومونة باريس هزة عميقة وحولت حياة السكان من طور الى طور (٢) . فقد انقلبت اغلبية السكان الى مالكين صغار يستثمر كل منهم ارضه بنفسه ، او بواسطة المرابعة — وتعارف الناس في قريتنا على تحويل قسم من الاراضي القسم المحيط بالقرية مباشرة ، ويدعى (الجدار) ولعله (جدار القرية اي حائطها ومحيطها) الى كروم ، وكان ذلك يحتاج الى تبدل في طريقة الاستثمار المتبعة آنذاك : فمجموع اراضي القرية كان يقسم الى عدد محدود من الاسهم كل سهم يسمى فدانا — وكانت هذه الاراضي توزع على اصحابها بمعرفة خبراء من اهل القرية اسمهم « القسامة » وهم نوع من المساحين بالممارسة. يستعملون في قياسهم الاراضي حبلا « مرسة » طوله خمسة وعشرون ذراعا — وكانت اعادة القسمة والتوزيع جائزة كل حين ، لان الملكية كانت تعتبر شائعة واعادة التوزيع تتيح لكل مالك ان يستفيد من استثمار ارض اخرى استثمرها غيره — ولكن الاهالي لم ينتبهوا الى مساوىء ذلك ، لم ينتبهوا الى ان اعادة القسمة من مصلحة المالكين غير المجتهدين ، من مصلحة المهملين الذين يأخذون بالقسمة ارضا استصلحها سواهم وهيأها لتعطي اكبر مردود . بينما يأخذ هذا العامل ارضا اهملها سواه وعليه ان يبدأ جهده من جديد .

من هنا كانت للجدار او الجدار اهمية كبرى : لانه استثني من اعادة التقسيم والتوزيع ، واعتبر ملكا ثابتا . فصار جهد صاحبه له ولورثته من بعده. وانشئت الكروم، كروم العنب، والاشجار الاخرى وبخاصة التين — واشتهر الجبل بعنبه اشتهارا واسعا منذ اوائل هذا القرن .

هذه الهزة العميقة اوقعت الرعب في نفوس الاقطاعيين القدماء — فلجأوا — كما هي العادة في كل زمان ومكان — الى الدولة العثمانية يستنجدون بها لاخماد ثورة الفلاحين — وقديما كان الاستعمار حليف الاقطاع مثلما كان الاقطاع حليف الاستعمار — .

سعى الشيوخ فاستقدموا جيشا تركيا لجبا ليعاقب الثائرين (٣) . وكان ظاهرا ان عرمان كانت هدف هذا الجيش . ولكنه لم يذهب اليها مباشرة ، بل رابط في السويداء ، وارسل نحو ١٤ جنديا بحجة المطالبة بضرائب او غرامات فاساء الجنود التصرف ووجهوا اهانة الى بعض الاهلين ، فانقض هؤلاء عليهم وحاصروهم داخل المضافة التي كانوا ينزلون فيها ، فاقفلوا الابواب على انفسهم واخذوا يطلقون النار من النوافذ ، فحفر الاهلون السطح وانقضوا على الجنود من فوق ، وقتلوهم جميعا، ما عدا واحدا كان من ابناء البلاد ، هرب واخبر المسؤولين في السويداء بما جرى .

ما ارويه من هذه النقطة فما بعد رواه لي والدي باعتباره كان حاضرا هذه المعركة ، وكانت اولى معاركه اذ كان عمره يومها (١٨٩٦) ثمانية عشر عاما . سار الجيش التركي من السويداء الى عرمان بطريق خراب عرمان ، وهو طريق يخرج من قرية الكفر ، فيمر بخراج سهوة الخضر ، حتى يدخل اراضي عرمان المسماة « الخراب » — وهذه الاراضي كانت في الزمان القديم كروما ذات جدران عالية من حجار البازلت . وداخل كل كرم اثار بيت الى (حوش) يتبعه معصرة عنب او زيتون، وقد ادى تنظيف الارض من الحجارة الى تكوين كومات كبيرة من الحجارة تدعى الواحدة منها (الرجمة وجمعها الرجوم) وتتخلل هذه الكروم اكوام ازلية من الصخور المتماسكة منذ ان قذفت بها البراكين من جوفها ، وتدعى الواحدة منها (خشعة وجمعها خشاع) (٤) .

كان الجيش يريد ان (يكبس) البلدة المجاهدة ، اي يفاجئها ليلا ليحتلها احتلالا سهلا . ولكنه تاه بين جدران الخراب وخشاعه ورجومه ، تاه ودار حوالي نفسه طوال الليل . وحين بزغ الفجر كان الفلاحون السارون لمباشرة اعمالهم في حقولهم ، قد وصلوا الى الخراب ، فلمحبعضهم طلائع الجيش اللجب — فعادوا وفزعوا (٥) القرية بكاملها. خرج كل قادر على حمل السلاح — ايا كان السلاح : البارودة ، او السيف ، او البلطة (الفاس) او الحربة او الخنجر ، وحتى العصا والمقلاع — وخرجت معهم النسوة (٦) يحملن الماء والزاد والسنة لا تكل عن الدعاء والتشجيع .

ولم ينس قادة المقاتلين ان يرسلوا مفزعا الى القرى المجاورة : صلخد — ملح — متان . وصل المقاتلون الى اقرب مكان من الجيش ، واشرفوا على طلائعه . فاذا

هـذه الطلائع ما تزال تدور ولا تدري من اين تنفذ الى طريق القرية – ووضع المحاربون خطة دفاعية هجومية استلهموها من واقع الجيش .

هناك كرم كبير واسع – يحيط به جدار عال متهدم اسمه ابو شبابيك ، يخترقه طريق زراعي من الشمال الى الجنوب ، ففي الجدار اذن ثغرة من الشمال واخرى مقابلة من الجنوب . احاط المقاتلون بالجدار واعدوا بواريدهـم للاطلاق عبر الطاقات (الشبابيك) في صمت ، وقرروا الا تطلق النار الا بعد ان يبدأ احد المقاتلين الذي كلف مهمة قتالية سرية يعرفها هو وحده ، ويكون اطلاقه النار هو اشارة بالبدء بالمعركة . كان هذا المقاتل الموثوق بمتانـة اعصابه ، وحسن تسديده ، يشرف على الثغرة الجنوبية من الكرم ، وقد دخلت طليعة الجيش الغازي ، وهي مؤلفة من الفرسان ، من الثغرة الشمالية ، وسارت طابورا طويلا داخل الكرم . ولما اصبح الفارس الاول (قائد الطابور) في الثغرة الجنوبية تماما ، وبهم بعبورها ، اطلقت الرصاصة الاولى فقتلت حصانه ، فسقط الحصان في الثغرة وسدها تماما ، بحيث تعذر على بقية الطابور ان تعبر ، ولا سيما انها ذعرت للمفاجأة ، واخذت عشرات الطلقات تنهال على الفرسان والجياد من كل صوب ، وكانت المسافة القريبة تجعل كل طلقة في فارس او في جواد – وأرادت الطليعة التقهقر غير ان طريق العبور كان ما يزال مشغولا بالعابرين وحدث ذعر عام وبدأت معركة من انجح المعـارك التي شاهدها تاريخ النضال التحرري بالوطن العربي – تدخل المشاة والمدفعية ، واشتد الضغط – والمهاجمون (ويقدر عددهم بأكثر من الفين) مسلحون بأحدث الاسلحة ، والمدافعون مئات قليلة ، سلاحهم البارودة التي تحشى من فوهتها ، وسائر الاسلحة القاطعة التي سبق ذكرها. روى لي والدي قال : « كان في كل متراس مقاتلان ، احدهـم يرمي ، بينما الثاني يكون قائما بحشو بارودته – فيتخـذ هو وضع الرامي ويحشو الاخر بارودته ، وهكذا .. » .

وصمد اهالي عرمان ، ساعتين الى ثلاث ساعات ، صمود الابطال ، وعجز الجيش عن احراز اي تقدم – عند ذاك وصل اهالي صلخد ثم اهالي ملـح ولدى وصولهم بادروا الى الهجوم فورا ، وبعدهم بقليل وصل اهـالي غيرهما من القرى المجاورة ، وتحولت المعركة من الدفاع الى الهجوم وكان هجوما صاعقا رائعا – كانت مجزرة ابيد فيها هذا الجيش التركي ابادة تكاد تكون كاملة .

وكان سلاح الجيش ينتقل الى ايدي المقاتلـين حتى اصبحوا جميعا تقريبا مسلحين بسلاح جديد لم يكونوا قد عرفوه من قبـل. فهذه بنادق ومعها ذخيرتها، بنادق سهلة الحشو ، سهلة الاطلاق ، سهلة التصويب ، بعيدة المدى. ستظل معركة « خراب عرمان » مفخرة لعرمان وجاراتها، ومصدر الهام للمناضلين من كل جيل .

حينما وصلت انباء المعركة الى الباب العالي هزت اركانه هزا عنيفا ، فصدرت الاوامر بارسال جيش عرمرم بقيادة ممدوح باشا .

وكانت معارك هائلة . وكان احتلال من جديـــد ، وكان نفي لحوالي اربعمائة من المقاتلين من القرى المختلفة، وكان والدي احد هؤلاء المنفيين (المسركلين) ، وهذا هو السبب في ذكر هذه الحوادث في سيرة حياتي الشخصية ، ذلك ان هذا الحادث بالذات سيكون الحادث الذي سيقرر حياتنا كأسرة ، وحياة الاخرين من مواطنينا ، بالتأثـير والتأثر المتبادلين . وكان ابرز المنفيين احد الشيوخ الذين اشتركوا مع الشعب في مقاتلة الغزاة وهو الشيخ ذوقان الاطرش والد سلطان الاطرش ، الذي سيكون له شأن ، اي شأن ، في مستقبل الثورات الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي . *

نقل المنفيون في باخرة من بيروت الى طرابلس الغرب – وقد اصيبت الباخرة بعطل في عرض البحر ، فكـادت تغرق ولم يقبل الباب العالي باعادة المنفيين بعد هـذا الحادث الخطر ، بل اصر على اصلاح الباخرة في احـد الموانىء ومتابعة الرحلة الى الميناء الليبي الجميل .

وبدأت شخصية والدي تتكون تكونا نضاليا ناضجا بفضل هذه الحوادث التاريخية : العامية ، معركة الخراب معارك الدفاع او الهجوم ضد حمـلة ممدوح ، الاسر ، النفي .

وفي عرض البحر ، بدأت تتكشف لعيني الشـاب المقاتل ، المتعلم قليلا جداً ، حقائق لم تكن لتخطر ببال : هو لم ينس ان الجندي الذي نجا من معركة عرمان الاولى كان عربيا من ابناء البلاد ، وان هذا الجندي هو الذي ذهب الى السويداء ليستنجد ، ولم ينس كذلك ان هذا الجندي ذاته قد يكون بين طلائع الجيش التركي الذي ابيـد في الخراب، ولكنه لم يكن يتصور ان بعض الرجال من طبيعتهم الانتهاز والخيانة ، حتى في ابان المحن والكوارث . ولا كان يتصور ان بعض الرجال يتعهرون في اقدس المواقـف وبأشرف القضايا . قدر الاتراك أن يتخذوا لهم من بـين المنفيين مخبـراً يتجسس على رفاقه وبني قومه – وهذا المخبر سيكون وبالا على الكثيرين منهم طوال سنوات النفي الاربع .

اجل – لقد استمر النفي اربـع سنوات – وزع المنفيون خلالها على قطعات الجيش العثماني المختلفة – وكان والدي فارسا في الآلاي السابع والثلاثين – ولكـن وضع المنفيين بالجيش كان وضعا غريبا ، فليس لهم حق سائر الجنود ، وهم تحت المراقبة . ولكن يظهر ان توزيعهم على القطعات كان يسهل مراقبتهم ، ويفرقهم بعضهم عن بعض ، حتى لا يتمكنوا من اقامة حياة مشتركة، ولا يقوموا بأية حركة .

ابرز الحوادث التي رواهـا لي والدي عـن حيـاة المنفى ، بالاضافة الى حادث المخبر النذل ، ما يلي :

١ ــ كان الاتراك يحرصون على اذلال العرب بأي شكل ، ويخلقون بينهم وبين الالبان (الارناؤوط) عداوات وشجارات في كل مناسبة .

٢ ــ اسرع والدي الى المطالعة ، فتعلم اللغة التركية واصبح يتكلمها كأبنائها ، بعد وقت قصير من استقراره في طرابلس ، وهكذا صار يدرك كل ما يدور حوله ، ويطلع على كل مؤامرة تحاك ضده وضد رفاقه .

٣ ــ رفض ان ينادى باسمه الطائفي ، فكان الاتراك ينادون المنفي من ابناء الجبل بقولهم (درزي فلان ..) وهذه طريقة للتفريق بين عربي وعربي اصبحت تقليدية لدى جميع المستعمرين ، والغزاة ، والامبرياليين ، رفض والدي هذا واجبرهم على مناداته بقولهم (عرب محمد ..)

٤ ــ اتاحت له اللغة ان يدخل في نقاش مع الاتراك حول ايهم افضل : العرب ام الترك ؟ وكان لديه جواب صاعق افحمهم وهو : « لو كان الترك افضل لجاء النبي تركيا . اما وقد جاء النبي عربيا فذاك يعني ان العرب افضل » هذه الطريقة في التفكير ليست عصرية ولا علمية . ولكنها كانت طراز التفكير آنذاك . وكانت بدايات سديمية غامضة لحركة القومية العربية ، داخل الامبراطورية العثمانية .

٥ ــ دار حديث بينه وبين عربي شيخ من طرابلس حول موقع الجبل ، وقربه او بعده من البحر ، وادهشه ان الشيخ كان يتحدث كأنه زار الجبل . ثم عرف من الشيخ ان هناك علما اسمه علم الجغرافيا وهذا العلم يعرف الانسان بأي بلد من خلال الكتب والدراسة . ولهذا كان والدي اول من طلب الى معلم في الجبل ان يأتي لولده بكتاب « جغرافيا » وهكذا كنت اول طفل في الجبل قرأ كتاب الدكتور فانديك في الجغرافيا .

٦ ــ دخل في معارك واشتباكات مع الضباط دفاعا عن الكرامة . وكان يراجع المشير القائد الاعلى ، بلا خوف ولا وجل ليشكو اعتداءات الضباط وظلمهم .

٧ ــ حاول الهرب مرتين باتجاه تونس وكان الاعراب يلقون القبض عليه ويعيدونه الى طرابلس .

٨ ــ سمع به ذوقان الاطرش فاستدعاه لزيارته ليتعرف اليه ، واثنى على سلوكه ، واطرى اعماله في جمع من رفاقه .

٩ ــ اتسع افق تفكيره وولدت في نفسه بوادر ثورة على واقع مجتمعه ، لا تقف عند حدود اقتسام الاراضي وتملكها(١) ، بل تتعداها الى محاولة تغيير الواقع والسعي الى ما هو افضل : صار لا يقبل العادات والتقاليد قبولا اعمى ، بل يناقش صلاحها او عدم صلاحها . فهو لا يقبل بان يصنف الناس حسب ميراثهم العائلي او المالي ــ بل يريد ان يكون للانسان تصنيف مستمد من نفعه للمجتمع ، من عمله المنتج ، وخدماته المؤداة ، وهذا ادى الى الاكثار من اعدائه ومنتقديه ، حتى من بين اقاربه ــ فالثورة على العادات الموروثة تهدد ما يسمونه « المراكز المكتسبة » ، فشيخ كل عائلة يخشى ان ينكر حقه في مركزه ، اذا ظهر في عائلته رجل افضل منه مواهب ،وشيخ الضيعة ايضا ، وشيخ البلاد كذلك ، وهذا ينطبق على الحالة الزمنية انطباقه على الحالة الدينية . فالمراكز الدينية كانت تورث كالمراكز الزمنية، دونما نظر الى كفاية الوارث واستحقاقه: فما دام ابن فلان فهو يرث مركزه بلا جدال ولا منازعة .

١٠ ــ آمن بالعلم وبأنه الطريقة الوحيدة للخروج بالعرب من حالة التخلف الى حالة الحضارة ــ وكان همه ان يعلم اولاده . وسنرى كيف كان نجاحنا مصدر فرحه الاكبر ومثار اعتزازه الاول .

١١ ــ اصبح يكره القوالين غير الفعالين ، اصبح ثائرا على هذه الظاهرة الخطيرة في حياتنا المتخلفة ، وهي ان يقاس الانسان بكثرة كلامه وارتفاع صوته ، مع صرف النظر عن حقيقته ، وعن نوعية عمله وسلوكه . ولطالما عبر امامي عن كرهه هذا ، واحتقاره هذا النوع من الناس ، وابتعاده ، ما امكن ، عن مجالسهم ، وضياع الوقت معهم.

١٢ ــ وكردة فعل على ذلك ، آمن بالعمل وحده ، معتبرا اياه شرف الانسان وجوهره ــ رافضا ان يكون للانسان اي مجد او فخر الا ما حققه هو نفسه ، بعمله الدائب المخلص ، ونظافة يده وقلبه ولسانه. كارها جميع المظاهر والشكليات . ثائرا على الكذب والنفاق والتزلف . متذمرا مما كان يجري في مجتمعنا ، من هدر للوقت ، وتكريس لحياة الفراغ والبطالة .

١٣ ــ لم يقبل بأن يتزوج كما يتزوج سائر الناس بدفع المهر (الفيد) الى والد العروس ، وجعله يتصرف فيه وينفقه بلا هدف . بل اجبر والد العروس ــ جدي ، ان يعتبر هذا المهر حصة من رأسمال يقدم والدي مثله ويقوم بالاتجار به بالاشتراك مع خالي ، الذي كان يومها في مطلع شبابه ــ وبهذا حقق اهدافا كثيرة : منها انه اعتبر الزواج رابطة تجعل من الاسرتين اسرة واحدة ــ وانه يحرص على رفع مستوى الاسرتين معا بلا تفريق بينهما ــ وانه يرى المال وسيلة لا غاية ، والعمل المشترك امرا ساميا ورابطة مقدسة ــ وكان عمله هذا في الواقع سببا في اسعاد الاسرتين .

كان سابقا زمانه ، وجعلنا سابقين زماننا ، فسبب لنفسه ولنا ، كما سببنا لانفسنا اعذب المتاعب، واحلى انواع الكفاح : الكفاح الاجتماعي .

١٤ ــ كان يقول لي دائما : عش سنة واحدة حصانا ولا عشر سنوات كديشا ، وهو بذلك يعبر عن مبدأ خطير: وهو ان الحياة ليست بتعدد سنيها ــ بطولها ــ بل بمحتواها بمضمونها ، بما يحققه صاحبها خلالها .

(١) بيوت كثيرة قديمة البناء كانت ابوابها من حجر ، قطعة واحدة



مرضت واصبحت ما بين بين من الموت بت على خطوتين

فسلمت امري وروحي لربي واني اليه رفعت اليدين

ولما رآني الطبيب تاني وقال .. المصاب من المقلتين

ولا شك ان الحبيبة مرت عليك .. وهذي اصابة عين

زحلة ـ لبنان رياض المعلوف

تدعى «حلس» تدور حوالي محورين يدوران في نقرتين احدثتا في المتبة «تحت» وفي الحنت « فوق » .

(٢) الذي يظهر من شعر شبلي الاطرش انه حمل على الحركة العامية ورجالها حملة شديدة فشتم وهجا واقذع وَالتفسير الحقيقي انه كان يوالي اقاربه اولا ويساير العامية لعله يوجهها ويحرفها ولما عجز من ذلك ظهر على حقيقته .

(٢) يعترف شبلي الاطرش في قصيدته المعروفة بالعامية :

الى ان الخلق عافت لحاها وصارت تطلب الدوله العليه
وقالوا اليقتلوا السبع الجنزر خير من اليموت بسم حيه

(٢) في اللغة (الخشمة جمع خشم) : الاكمة المتواضعة .

(٥) فزع ـ استنجد ، اهاب بالقوم ان يخرجوا للقتال (لغة عامية).

(٦) في هذه المعركة اشتهرت المجاهدة سعدى ملاعب .

دمشق سعيد ابو الحسن

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(۱)

الموشحات الاندلسية ـ د. محمد زكريا عناني . الكويت ـ سلسلة عالم المعرفة (۳۱) ، شعبان ـ رمضان ۱٤۰۰ ـ يوليه (تموز) ۱۹۸۰ .

۱ ـ الكتاب مناسب للسلسلة التي صدر فيها ، وقد بذل المؤلف جهدا في الجمع والاستقصاء واودع كتابه من المادة ما يصعب ان تجدها في مؤلف آخر .

ولكن ، يبدو ـ وليس هذا من باب غمط جهد المؤلف ـ ان موضوع « الموشح » ـ في حدود المادة التي تيسرت منه ـ قد استهلك واستنفد نفسه وصار التاليف فيه ضربا من الاعادة والتكرار بانتظار اكتشاف جديد .

۲ ـ من المصادر المخطوطة للكتاب ما يحسن طبعه ، ومن ذلك : « الدر المكنون في سبع فنون (ولعلها في سبعة الفنون) لابن اياس ، وعقود اللآل في الموشحات والازجال للنواجي .

۳ ـ ذكر من المصادر المهمة : كتاب ابن سناء الملك : دار الطراز في عمل الموشحات ، تحقيق جودت الركابي ، دمشق ۱۹٤۹ .

ومن النافع ان نشير الى ان الدكتور جودت الركابي اعاد الطبع (ثانية) ، دمشق ، دار الفكر ۱۳۹۷ ـ ۱۹۷۷ « مع بعض التحقيقات الاضافية » .

٤ ـ هناك مطبوعات كنت آمل ان اراها بين مراجع المؤلف لاهميتها ، او استكمالا للقائمة . ومن هذه :

أ ـ بلاغة العرب في الاندلس ـ احمد ضيف، الطبعة الاولى ۱۳٤۲ ـ ۱۹۲٤ ، القاهرة ، ط ۲ ، القاهرة مطبعة الاعتماد ۱۹۳۸ ـ ۱۳۵٦ .

ب ـ نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ـ كامل كيلاني ، القاهرة ۱۳٤۲ ـ ۱۹۲٤ .

ج ـ الوشح في الاندلس وفي المشرق للدكتور محمد مهدي البصير ، بغداد ، مطبعة المعارف ۱۳٦۷ ـ ۱۹٤۸ .

د ـ نيكل (أ. لويس) : مختارات من الشعر الاندلسي ـ باشراف الدكتور عمر فروخ ، بيروت ۱۹٤۹ .

وممن عرض للموشح الدكتور عمر الدقاق في فصل من كتابه ـ ملامح الشعر الاندلسي ، دار الشرق ، بيروت ۱۹۷۵ .

٤ ـ جاء على ص ۱٦۵ « وشاحون من القرن الثامن والتاسع الهجريين » : « ابو حيان اثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي المتوفى سنة ۷٤۵ ... »

وكنت اود لو اشير في الحاشية الى « ديوان ابي حيان الاندلسي » الذي حققه الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي . بغداد ، مطبعة العاني ـ

ويذكر ان المحققين عملا تكملة للديوان (ص ۲٤۹) احتوت ـ فيما احتوت ـ الوشحتين اللتين ذكر المؤلف مطلعهما ص ۱٦۵ ، ۱٦٦ .

وتأتي اهمية الاحالة الى الديوان من ان الديوان يهيىء للقارىء مرجعا جديدا يجد فيه الموشحتين كاملتين (كما وصلتا الينا) مع عدد لا بأس به من مصادرهما .

والملاحظ ان المحققين (الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي) استغربا ص ۵۷ ، ۵۹ خلو « مخطوطة ديوان ابي حيان من هذا اللون من الشعر مع شهرة الرجل بالموشحات وهو الاندلسي الصميم » .

وقد يخف الاستغراب اذا علمنا ان مخطوطة ديوان التطيلي (ابي جعفر احمد بن عبد الله بن هريرة القيسي ت ۵۲۵) خلت من « الموشح » مع ان موشحاته اكثر عددا وانه اشهر من ابي حيان وهو صاحب « ضاحك عن جمان » وقد وجد له الدكتور احسان عباس (۲۲) موشحة الحقها بديوانه الذي حققه وصدر عن دار الثقافة ببيروت (مطبعة عيتاني الجديدة) ۱۹٦۳ .

ويبدو لي ـ وربما بدا لآخرين ـ ان السبب يرجع في نظرة الناس ـ آنذاك ـ الى الموشح ، وهو ، في اقل تقدير ـ غير القصيد ، وانما يكون « الديوان » للقصيد فقط ..

ونذكر بهذه المناسبة ان ديوان ابن الخطيب (وهو صاحب : جادك الغيث اذا الغيث همى) اقتصر على القصيد دون الموشح . ينظر : لسان الدين ابن الطيب ـ ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام ، دراسة وتحقيق للدكتور محمد الشريف قاهر . الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ۱۹۷۳ ـ ولم يستغرب الدكتور قاهر خلو الديوان من الموشح .

ولم يورد الدكتور عناني اشارة الى ديوان لسان الدين ابن الخطيب هذا ، حتى عندما عدد المطبوع من آثاره ص ۱۷۱ .

۵ ـ من الموضوعات الجديرة بالعناية والدرس موضوع المقابلة بين القصيد والموشح لدى شاعر واحد زاول الفنين او لدى عدة شعراء ...

وقد ذكرنا – فيمن ذكرنا – ابا حيان ، والتطيلي وابن الخطيب .. ويمكن ان يضاف آخرون منهم ابن سهل .. ابن زهر الحفيد ويبدو انهم اشعر في الموشحات منهم في القصيد .

٦ – ورد رسم « التطيلي » مرارا على التطليلي (ص ١٠٢ ، ١٠٣) ولا بد ان يعزى ذلك الى المطبعة .

٧ – ص (٣٠ – ٣٢) : « الخرجة .. والشرط فيها ان تكون حجاجية من قبل السخف ... » ولفظة الحجاجية « تشير الى شاعر بغدادي هو ابن الحجاج توفي سنة ٣٩١ هـ .. »

كان المناسب احالة القارىء – للتعريف بابن الحجاج، وايضاح سخفه بالامثلة الى الثعالبي في كتابه « يتيمة الدهر » – قسم العراق .

وابن الحجاج هو ابو عبد الله الحسين بن احمد ..

وقد جاء اسمه خطأ في الجزء الثالث من اليتيمة بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .. فقد ورد : الحسن ، وصحيحه : الحسين ..

٨ – ص ٣١ قال ابن سناء الملك « وقد تكون الخرجة عجمية اللفظ بشرط ان يكون لفظهـا ايضا في العجمي سفسافا نفطيا ورماديا زطيا » .

وقال المؤلف في الحاشية « لم نجد تفسيرا مقنعا لكلمة « نفطيا .. » .

وقد وردت في تفسيرها اقوال مختلفة ذكر المؤلف بعضها ، ولم يشر الى تفسير الدكتـور جودت الركابي ليجمعها مع التفسيرات الاخرى ..

ولي في الموضوع خاطرة اعرضها هنا فقد تكون نافعة . وخلاصتها ان « نفطيا » هذه مصحفة او محرفة من « نبطيا » وكلمة « نبطيا » مناسبة جدا في ورودها مع « زطيا » .. بصدد اشتراط اللفظة العجمية غير العربية، او غير العربية الفصيحة .. ويلتقي النبط والزط في كثير من نقاط التعريف ببعد « لغتهم » عن العربية .

جاء في القاموس المحيط : « النبط جيل ينزلـون بالبطائح بين العراقين .. وهو نبطي .. »

وجاء في لسان العرب : « النبط .. جيل ينزلون السواد .. سواد العراق .. وفي كلام ايوب من القرية : اهل عمان عرب استنبطـوا واهل البحرين نبيـط استعربوا ... »

وعن الزط جاء في القاموس : « الزط بالضم جيل من الهند .. الواحد زطي » ، وجاء في لسـان العرب « الزط .. جيل اسود من السند .. وقيـل الزط السبابجة قوم من السند بالبصرة » .

ومن باب الفائدة ان سكان جزيرة العرب – في الوقت الحاضر – يسمون ما يسميه غيرهم الشعر العـامي او الشعبي .. باسم الشعر النبطي . وفي عامية هذا الشعر ومخالفته الشعر المعرب ما يمكن ان يلقي ضوءا على المسالة ويجعلنا نميل – مع الادلة الاخرى – الى امكان ان تكون كلمة « نفطيا » مصحفة او محرفة عن « نبطيا » – ونرجو ان تصل الجهود الى نتيجة حاسمة ان لم تكن ملاحظتنا مقنعة .

٥ – ص ٦٦ « عبد الله بن المعتز (توفي سنة ٢٩٥هـ) » الصحيح ان ابن المعتز توفي (قتل) سنة ٢٩٦ ويمكن ذكر شهر ربيع الآخر للدقة ..

(٢)

بدائع البدائه لعلي بن ظافر الازدي (٥٦٧ – ٦١٣) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مكتبة الانجلـو المصرية ، سبتمبر ١٩٧٠ .

١ – ورد اسم كتاب للتنوخي حسـب « فهرس الكتب » اربع مرات هي ص ٥١ ، ١١٢ ، ٢٩٤ ، ٣٤٧ ، هكذا :

أ – ص ٢٩٤ « وذكر القاضي ابو علي التنوخي في كتاب « النشوان » .. »

ب – ص ٣٤٨ « وقال القاضي علي التنـوخي في كتاب « النشوان » .. »

ج – ص ٥١ « وذكر ابو عبد الله التنوخي في كتاب « نشوار المحاضرة » .. »

د – ص ١١٢ « وذكر القاضي ابو علي التنوخي في « النشوار » .. »

والصحيح في هذه الروايات المضطربة هو :

١ – نشوار المحاضرة وليس نشوان .. وهكذا ورد اسمه على «المطبوع» منه .

ب – ابو علي .. وليس « علي » او « ابو عبد الله»

ج – اسمه الكامل : ابوعلي المحسن (بتشديد السين وكسرها) بن علي بن محمد .. توفي سنة ٣٨٤ .

٢ – ينقل اخبارا عن « دمية القصر وعصرة اهـل العصر للباخرزي » فيقول ص ٥٧ : « قال العميد ابـو الحسن علي بن الحسن بن ابي طالب .. » ويقول ص ٨٥ « وذكر العميد ابو الحسين علي .. »

وص ١٥٠ – وقد ورد الرقم خطأ في الفهرس على انه ١٠٥ – « وروى علي بن الحسن .. » .. الخ ينظر فهرس الاعلام .

والملاحظ :

أ – ان علي بن ظافر الوحيد بين المصادر التي اعرفها الذي يصف الباخرزي (ص ٥٧ ، ٨٥، ٢٩٩) بالعميد . وصفة « العميد » تتصل عادة بالكتابة او التقدم «بوظيفة» الكتابة ، وما احسب الباخرزي ممن وصل الى هـذه الرتبة او حصل على هذا اللقب – وكان الطغرائي قـد عرف بها – فيما عرف به من القاب ورتب .

ب – ترد الكنية مرة (ص ٥٧) علي «ابو الحسن» ومرة (ص ٨٥) « ابو الحسين » . والصحيح هي الاولى:

« ابو الحسن » .

٣ – ص ١٠٧ « ونقلت من مجموع ابي المعالي الكتبي » .

وذكره المحقق في فهرس الاعلام تحت حرف الميم كما لو كان اسمه « ابو المعالي الكتبي » .

والصحيح ان اسم ابي المعالي الكتبي هو : ابو المعالي سعد بن علي بن القاسم .. الحظيري المعروف بالكتبي او دلال الكتب او الوراق ..

اما « المجموع » الذي نقل عنه فالمناسب ان يكون « زينة الدهر وعصرة اهل العصر » – وهو كتاب لم يصل الينا .

(٣)

احسان سركيس – الثنائية في الف ليلة وليلة . بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط ١ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ .

ا – ذكر المؤلف مراجع بحثه ص ٢٢٣ ، ولكنه لم ينص على الطبعة التي اعتمد عليها في دراسته « الف ليلة وليلة » .

ب – لم يذكر – بين مراجعه – كتابا رائدا مهما في الدراسات الحديثة هو كتاب الاستاذ احمد حسن الزيات « في اصول الادب » وقد ضمنه بحثه القيم عن الكتاب سنة ١٩٣٢ ..

ج – صدر ببغداد عن وزارة الاعلام ١٩٧٧ كتاب « الملامح السياسية في حكايات الف ليلة وليلة » تاليف احمد محمد الشحاذ – والاصل في الكتاب انه رسالة نال بها صاحبها درجة الماجستير من جامعة عين شمس في القاهرة .

د – ذكر المؤلف : « علي بابا » (ص ٢٢١ مثلا) على ان الحكاية مما ورد في كتاب « الف ليلة وليلة » – ففي اية طبعت وردت ؟

(٤)

تاريخ الموصل – تاليف ابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس ابن القاسم الازدي ت ٣٣٤ ، تحقيق دكتور علي حبيبه ، القاهرة ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية – لجنة احياء التراث الاسلامي – الكتاب رقم ١٣ سنة ١٣٧٨–١٩٦٧ .

١ – ص ١٤٤ :

اريد حباءه ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

وفي الهامش : ينسب هذا البيت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي في العقد الفريد ١٤٢/١ ، ٥/٧٦ ، وانظر تاريخ اليعقوبي ٩٧/٢ ومقاتل الطالبيين ص ١٦٧ .

الرواية الصحيحة كما في مجموع هاشم الطعان : ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي . بغداد – وزارة الثقافة ١٩٧٠ – ص ٦٥ :

اريد حياته ...

وهكذا كنت احفظه .

٢ – هجا دعبل المأمون ص ٤٠١ :

ويسومني المأمون خطة عارف   او ما راى بالامس راس محمد ..

ويحيل في الهامش على الشعر والشعراء ٥٤٠ .

ونرجع الى « الشعر والشعراء » بتحقيق الشيخ احمد محمد شاكر ط ١٩٦٦ ص ٨٤٩ ونجد ما يؤيد الرواية ولكن الهامش يقول : « ابن خلكان « جاهل » و « الاغاني » .. « عاجز » . والعارف هنا بمعنى الصابر» وهي لدي ابن خلكان وفي الاغاني كما اشار الشيخ شاكر.

اما الدكتور عبد الكريم الاشقر محقق شعر دعبل بن علي الخزاعي (١٤٨ – ٢٤٦) ، دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي ١٩٦٤ فيفضل (ص ٩٨) رواية :

ايسومني المأمون خطة عاجز   او ما راى بالامس راس (محمد)

واشار في الحاشية الى ان « بعض المصادر » ترويها ظالم ، جاهل ، حازم .

٣ – ص ٢٧٤ ، سنة ١٧٥ « وفيها عقد هارون لابنه محمد وسماه الامين وله خمس سنين فقال سلم الخاسر :

قد وفق الله الخليفة اذ بنى   بيت الخلافة للهجان الازهر

وضبط « الهجان » بكسر الهاء . وقال في الهامش « .. في الاصل الخلافة والصحيح في تاريخ الطبري٣/٦١٠ . والهجان : البيض الكرام » .

ولا ينسجم تفسير الهجان بالبيض الكرام التي هي من الابل .

والصحيح ما جاء في القاموس المحيط : الهجان : الرجل الحسيب .. البين الكرم .. (وجاء فيه ابل هجائن : بيض كرام) .

٤ – ص ٨٠ خرج ابو حمزة (الخارجي) وهويقول:

احمل راسي قد مللت حمله   وقد ادمت دهنه وغسله
الا فتى يحمل عني ثقله

وفي الهامش : قال ص ١١٣ سئمت دهنه ، وقال صاحب الاغاني ان هذا البيت ارتجزت به ام حكيم الخارجية صاحبة قطري بن الفجاءة ٦/١٥٠ .

لم يلاحظ المحقق في رواية ص ١١٣ : «احمل راسا» وهي المناسبة بل انها كذلك في الاغاني ٦/١٥٠ .

والرجز في روحه انسب ان يعزى الى امراة (ام حكيم) ، وهكذا كنت ارويه .. وهكذا ثبته الدكتور احسان عباس في كتابه « شعر الخوارج » موثقا بثلاثة مصادر .

٥ – عمل المحقق فهرسا للقوافي ، ولكن الابيات التي وضعها لحرف الهاء (ص ٥١٠) ليست هائية وانما هي ملحقة بهاء ، والقاعدة ان توزع على قوافيها الاصلية : اللام ، الميم ، النون ، الراء ، الهمزة ، الحاء ، الالف ،

العين ، التاء ..

وكم يكون مناسبا لو استعان المحقق المؤرخ بمحقق اديب ..

(٥)

البنية القصصية في رسالة الغفران ـ تاليف حسين الواد، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥ ـ وهو بحث جامعي جرت مناقشته في جوان ١٩٧٢ باشراف الاستاذ توفيق بكار ومناقشة عبد القادر الهبري وصالح القرماوي .

١ ـ البحث هيكلي (بنيوي) ولا يكتمل النجاح لمثل هذا البحث ما لم يقم على طبعة تامة التحقيق . وصحيح ان الباحث اعتمد على تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء (الدكتورة عائشة عبد الرحمن) لرسالة الغفران الذي صدر عن دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٠ ـ وهو خير تحقيق في حينه .

ولكن الذي حدث ان الدكتورة عائشة عبد الرحمن ظلت ترعى النص وتعيد النظر كلما جد لديها مصدر من « اصول لغوية وادبية » وقد صححت في ذلك امورا ذات بال في اقامة النص .. وتعددت في ذلك الطبعـــات .. والمفروض بالباحثين ان يرجعوا الى احدث طبعة تصدر (من احسن تحقيق) .

ولم يفعل السيد حسين الواد هذا .. ولنذكر ان الطبعة الخامسة من رسالة الغفران بتحقيق الدكتـــورة عائشة عبد الرحمن صــدرت عام ١٩٦٩ وكان المفروض بالباحث ان يصدر عن هذه الطبعة في الاقل .

ولنذكر ان الطبعة الاولى صدرت وليس فيهـــا « رسالة ابن القارح » ، وقد دخلت هذه الرسالة في تحقيق الدكتورة عائشة منذ الطبعة الثانية .

٢ ـ ومن تونس تأتينا كتابة جديدة لـ G ، فهم يكتبونها قافا وهكذا صرنا نكتب Goldmann على ثلاث صور :

غولدمان ، جولدمان ، قلدمان .. وكانت حلقـــة براغ : حلقة براق . اما في المغرب فيكتبونها كولدمان ـ بكاف عليه ثلاث نقاط ، ويفضل العراقيون كتابتها بالكاف ـ اي الكاف ذات الخطين .

٣ ـ ص ٥ ترجم المؤلف كلمة Communications ابلاغات ، ولكنه لم يترجمهـــا ص ٦٦ وانما عربهـــا : « كومونيكاسيون » .

٤ ـ ص ١٢ ترجم Conte بالخرافة ـ والاولى ان تترجم بالحكاية ..

٥ ـ ص ١٣، ١٤، رولان بارط ، محاولات نقدية : Essais Critiques ـ ليست هذه محـــاولات .. ورولان بارط اعلى من مستوى المحاولات . انها «مقالات نقدية » .

٦ ـ ص ١٦ « الشكلية وليدة تظافر مجهـــودات جماعة من الباحثين .. »

يبدو ان « املاء » المغرب العربي يكتب «تظـافر» بالظاء ـ والصحيح ان تكتب « تضافر » بالضاد .

٧ ـ عـــرب ص ١٦ Tel Quel قال كال ـ والصحيح تل كل .

٨ ـ ترجم Poétique مرة (ص ٥) « انشائية » ومرة (ص ١٦) : علم الادب . وقد تكون الثانية اقرب الى الصحة .

٨ ـ ص ٤٥ « وفي الحقيقة فان المنطق حافل .. »

ص ٨٤ « وفي الحقيقة فان ابن القارح .. »

لا موجب لهذه الفاء في « فان » .

٩ ـ ص ٤٨ «حديث امرىء القيس في دارة الجلجل»

الصحيح في دارة جلجل .

١٠ ـ ص ٥٧ » نجد الشعر يتسبب في عـــدة اطنابات »

كذا جمع المؤلف اطناب وهو ما لم يرد في البلاغة العربية ، ولا موجب اليه .

١١ ـ ص ٦٥ « نواجه احداثا مصاغة » ـ الصحيح مصوغة .

١٢ ـ ص ٧٠ : سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا ابالك يسلم

الصحيح يسأم ـ وهو من الخطأ المطبعي ..

١٣ ـ ص ٧٨ « وبما ان الهيكلية « لا تقول بالاشياء» لتقول « بالعلاقات بين الاشياء » » .

الصحيح : لا تقول .. وانما تقول ..

١٤ ـ ص ٨٣ « وصنف لا يجيب على اسئلة ابن القارح » .

الصحيح لا يجيب عن ..

١٥ ـ ص ٨٣ « الشماح » : الشماخ ـ والخطـا مطبعي .

١٦ ـ ص ١٥ « نظرا لتفاقم عدد المصنفات المشيدة بمزايا هذه الطريقة او المتعرضة لها .. »

صحيح ان التفاقم يستعمل لبيان الزيادة والكثرة .. ولكننا اعتدنا استعماله لدى الزيادة في السوء : تفاقم الخطر ، الوباء .. وهو ما لا يريده المؤلف .

(٦)

الادب الفارسي في العصر الغزنوي ـ الدكتور علي الشابي، تونس ، دار تونس للنشر ١٩٦٥ ـ في الاصل : اطروحة دكتوراه باشراف الدكتور ابراهيم امين الشواربي بجامعة القاهرة .

١ ـ ص ١٥ « وما ان وافى القرن الرابع حتى ساد التمزق » ـ بفتح همزة ان . والصحيح كسر الهمزة .

٢ ـ ص ٨٩ « الفردوسي .. نيف عن الثمانين ».

والصحيح : على ..

٣ ـ هامش ص ٩١ « ملحمة همروس » .
لا موجب لهذه الكتابة الجديدة لاسم هوميروس .
٤ ـ ص ١٠٠ » ان مقربي الخلفاء (من المترجمين) .. لم يكونوا عرباء وان تفقهوا بالعربية » .
صحيح عرباء : عربا ـ ولعلها من الخطأ المطبعي .
٥ ـ ص ١٠١ » امتاز الشعر الفارسي عن الشعر العربي .. »
الصحيح : من
٦ ـ ص ٢٢٥ « تأثر منوجهري بخيالات الاعشى .»
لا موجب لجمع خيال هنا ، لا سيما لدى الحديث عن شاعر قديم كالاعشى ..
٧ ـ ص ٢٢٦ « .. معارضا بها مدحية للاعشى »
ليست « مدحية » من الاستعمال العربي ولو قال : مدحة ، او قصيدة مدح .. كان انسب .
٨ ـ ص ٢٣٠ « قول ابي الطيب المصعبي محمد بن حاتم .. :

ولا تكاد جيـاد   تروي بغير صفير

هكذا وردت تروي بالياء والصحيح تروى بالالف .
٩ ـ ص ٢٣١ : قول ابي فراس الحمداني :

يطرزها قوس السحـاب باصفر   على احمر في اخضر تحت مبيض

الصحيح : مبيض ـ ولعله من الخطأ المطبعي .
على اني رجعت الى ديوان ابي فراس في طبعة دار صادر ـ بيروت التي تقول انها (روايـة ابي عبد الله الحسين بن خالويه) ١٣٧٩ ـ ١٩٥٩ فما وجدت البيت فيه ..
حقيقة الامر ان البيت لابن الرومي من قصيدة ضادية تجدها في المختارات التي عملها كامل كيلاني من « ديوان ابن الرومي » .
١٠ ـ ص ٢٨٤ « لم يصب برتولد .. تاريـخ الحضارة الاسلامية »
الصحيح : بارتولد .
١١ ـ ص ٣٢٥ في الحديث عن اسس منهج البيروني: جمع المادة « الح المؤرخ غير مرة على ان ينزه نفسه عـن العوارض المردئة لاكثر الخلق .. »
ربما كان الصحيح ـ او الصحيح من غير ربما ـ : المردية من اردى يردي .. فهي مردية : مهلكة .
١٢ ـ ص ٣٣٢ « وحين يطبق هذا المنهج المتكامل فانما ليصل الى تصوير الحضارة »
ليس التعبير من مألوف اللغة العربية ، وقد يكون المناسب ان نقول .. فانما يطبقه او يفعل .. ليصل او ـ وهو الاحسن .. وهو يطبق هذا المنهج المتكامل ليصل الى تصوير الحضارة .
١٣ ـ ص ٣٣٩ « هل ان الفارسية لا تصلـح الا للاخبار الكسروية والاسمار الليلية »
الصحيح حذف « ان » .

(٧)

جماليات الفنون ـ د. كمال عيد ، بغداد ، الموسوعـة الصغيرة (٦٩) ، ١٩٨٠

١ ـ ص ١٠ بلاهانوف G. V. Plehanov
الصحيح : بليخانوف Plekhanov
٢ ـ ص ١٩ « بومجارتن وكتابه .. (الجمـال) الذي الفه منذ مائتي عام »
الصحيح « منذ اكثر من مائتي عام (فقد كان التاليف سنة ١٧٥٠) .
٣ ـ ص ٢٦ « الاول يعزي نشوء الجمال الى الله »
الصحيح : يعزو بالواو مضارع عزا ، وليس بالياء .
٤ ـ ص ٥٢ « تشبيهات ومجـازات واستعارات وقطعات زائدة (Hyperbola) .. »
صحيح « قطعات زائدة » : مبالغـة (اوغلو) . والحديث حديث مصطلحات بلاغية .
٥ ـ ص ٩٧ « النثريات » ـ قالها في مقابل »الشعر« فالصحيح ان يقول : « النثر » فليس في العربية نثريـات وشعريات .
٦ ـ ص ١٢٤ » دي لامبرت D'Alembert
الصحيح : دلمبر لان التاء الاخيرة لا تلفظ .
٧ ـ ورد ص ١٣ « الصوت الرفيع يناسب الاطفال»، واحسب ان « الرفيع » هذه في غير مكانها ، لان الصوت الرفيع يعني العالي ، المرتفع ، الجهير ، والمؤلف ـ كمـا يبدو ـ يريد غير ذلك ، او عكس ذلك . وربما كان الانسب لاستعماله : الرقيق ..

(٨)

الدكتور طه الحاجري ـ الجاحظ ـ حياته وآثاره، القاهرة دار المعارف ، مكتبة الدراسات الادبية (٢٨) الطبعـة الثالثة ١٩٧٦ .

١ ـ « الطبعة الثالثة » في مطبوعات « دار المعارف» لا تختلف ـ عادة ـ عن الطبعة الاولى . ولكن متى وقـع التاليف ؟ ومتى كانت الطبعة الاولى ؟ لا يمكن ان نعـلم ذلك ـ هنا ـ على وجه الدقـة ، فلم تؤرخ المقدمـة (التصدير) التي هي مقدمة الطبعـة الاولى ، ولكن في المقدمة (وفي التعقيب ص ٤٥٣) ما يشير الى ان التاليف قد وقع سنة ١٩٤٦ وان الطبع قد وقع بعد (١٠٦)سنوات من التاليف اي حوالي ١٩٦٢ ـ لا ادري لم نتهاون بشأن اثبات سنة الطبع ، ودار المعارف معاتبة اكثر من غيرها .
٢ ـ وعد الدكتور طه الحاجري في ختام الطبعـة الاولى (ص ٤٥٣) باستئناف درس الجاحظ واستكمال « بحث نواحي شخصيته الادبية والعلمية » ـ وقد مضى على ذلك زمن طويل ولم يستأنف درس الجاحظ .. وهو القادر .

٣ ـ لم يذيل الدكتور الحاجري كتابه بقائمة للمصادر والمراجع ..

٤ ـ قسم الحاجري حياة الجاحظ الى عهدين : العهد البصري والعهد البغدادي ، وذكر كتب العهدين وتحدث عنها واحدا واحدا فوقف عند (٣٣) رسالة وكتابا .. ولكنه لم يتحدث عن « البخلاء » فلا تجد له رقما بين هذه الكتب والرسائل .. فتعجب لانك تعلم ان الحاجري يعرف « البخلاء » تمام المعرفة ..

(٩)

البخلاء للجاحظ ، حقق نصه وعلق عليه طه الحاجري الاستاذ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٣ ـ ذخائر العرب (٢٣) .

١ ـ التصدير (المقدمة) غير مذيل بتاريخ ، ولكن المؤلف يقول في هامش الصفحة الاولى منه : « كان هذا عند اخراج هذه النشرة في طبعتها الاولى (سنة ١٩٤٨) » ولم يزد . ولكنا نعلم ان تلك النشرة الاولى لتحقيق البخلاء (١٩٤٨) صدرت بالقاهرة عن دار الكاتب المصري .

وتكون طبعة دار المعارف هذه نشرة ثانية ولم يشر المحقق الى اي تغيير اجراه فيها . ودار المعارف تعيد مطبوعاتها ـ عادة ـ كما هي ، اي انها تسحب نسخا جديدة عليها فالطبعة الثانية ـ على هذا ـ تعني عددا جديدا من الوف النسخ مطابقا للطبعة السابقة ..

وهكذا تكرر طبع « البخلاء » بدار المعارف حتى كانت الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٦ ، وستستمر على ذلك .. واحسب ان للدكتور الحاجري من الجديد ما يحسن ان يعيد بمقتضاه النظر في التحقيق القديم .

٢ ـ ص ٣٤ « فلم البث ان رايتهـا قد طلقت وتبسمت .. » ـ بتشديد اللام من طلقت.

ولا موجب للتشديد لان طلق ـ بضم اللام ـ ككرم .. وقد طلق من باب ظرف .

٣ ـ ص ١٠٩ « قال الاعشي : والبطنة مما تسفه الاحلاما »

صحيح ان القول ـ على صيغة المثل ـ للاعشى : ولكنه هنا ـ في البخلاء ـ ليس بيتا وانما هو مقطع من بيت . جاء في لسان العرب :

يا بني المنذر بن عبدان والبطـ ـنة مما تسفه الاحلاما

وكان مناسبا ان يشار الى ذلك في الحاشية .

٥ ـ ص ١٧٠ « رحا الدنيا »

صحيح ان الخطوط العربية القديمة اضطربت في كتابة الالف من مثل هذه الكلمة ، ولكن ما استقر عليه رسم الحرف العربي ان تكتب « رحى » ومثناها رحيان ، وقد قالوا « رحى العرب » . ولا تكتب « رحا » الا على اساس المد وحذف الهمزة من « رحاء » . وربما لم يكن موجب الى هذا .

او ان الاستاذ المحقق اراد اتباع قاعدة رسم الملفوظ .. او قاعدة الدكتور « طاها حسين » او انه ابقى القديم ـ الذي رآه في المخطوط ـ على قدمه .

٦ ـ ص ١٧٨ « مثل سم الخياط » بفتح السين

في مختار الصحاح « السم الثقب ومنه سم الخياط بفتح السين وضمها » وفي القاموس المحيط : « يثلث » .

وقد ورد في القرآن بفتح السين : « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » ، ويقول الزمخشري وقرىء (في سم) بالحركات الثلاث .

٧ ـ ص ٢٩٥ « المسجديون »

نص المحقق على ورودها في البخلاء (٢٩) ، وهي كذلك . وربما كان يحسن ان يشير الى ان الجاحظ ذكرهم ـ او ذكر الكلمة ـ في كتابيه الكبيرين: الحيوان ، والبيان والتبيين .

٨ ـ ص ٣٤٥ « ابو الشمقمق : لقب الشاعر المغمور مروان بن محمد من اعظم شعراء عصره تعبيرا عن الفقر »

لعله لم يكن مغمورا في عصره .. ولكنه ظل مغمورا لدينا زمنا طويلا . اما يكفي شهرة في عصره انه كان ياخذ جزية من بشار بن برد (ينظر الاغاني ١٩٤/٣) قال ابن المعتز « شعر ابي الشمقمق كله ـ الطبقات ١٢٩ » ، والنوادر عامل كبير في الشهرة .

٩ ـ ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ابو يعقوب الاعور (١٠٥) هو « ابو يعقوب اسحاق بن حسان بن قوهي الخريمي كما نبه محمد بن داود بن الجراح وشارح القاموس .. قال شعره الذي يفخر فيه بالصغد والذي نسب من اجله الى الشعوبية .. وقد عاش الخريمي الى ان شهد الفتنة التي كانت بين المأمون والامين .. »

أ ـ يرد ذكر الخريمي والاستشهاد بشعره لدى الجاحظ في كتابيه الكبيرين : الحيوان ، والبيان والتبيين. والجاحظ ياخذ عنه مباشرة ..

ب ـ لقد فخر الخريمي بالصغد ، والصغد قوم من الترك .. فهو ليس فارسيا .. والقصيدة لا تدل على شعوبية (تنظر) ثم من الذي نسبه الى الشعوبية ؟ وفي اي مصدر ورد ذلك ؟ لقد تهيأ لي الالمام باكثر مصادر الخريمي فما رايت احدا نسبه الى الشعوبية ، بمن في ذلك ابن قتيبة الذي اورد القصيدة في الشعر والشعراء ، وتحدث عن الشعوبية كثيرا في « عيون الاخبار » .

ج ـ وقعت الفتنة سنة ١٩٧ هـ وقد عاش بعدها الخريمي غير قليل فلقد توفي سنة ٢١٤ .

١٠ ـ وفي فهرس المراجع ترد ملاحظات مرد اكثرها ان المؤلف يثبتها ويصفها كما كانت لدى الطبعة الاولى (او الثانية) من غير ان يغير فيها على مقتضى ما جد في الطبعة . ومن امثلة ذلك، والملاحظات الاخرى ..

أ ـ ص ٤٩٢ « البخلاء للخطيب البغدادي ، ابي بكر احمد بن علي . لم ينشر بعد . ومنه مخطوطة .. »

وقد طبع البخلاء للخطيب البغدادي ببغداد سنة ١٩٦٤ بتحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثة . ولكن الدكتور الحاجري لم يشر الى ذلك لانه ابقى فهرس المراجع على قدمه .. مع تعدد طبعات كتابه.

ب – ص ٢٩٤ « تاريخ بغداد لطيفور ابي الفضل احمد بن ابي طاهر الكاتب » .

الصحيح ابن طيفور لانه احمد بن ابي طاهر طيفور.

ج – ص ٥٠٤ « مجموع النقود العربية للاب انستاس ماري الكرملي ، طبع القاهرة ١٩٣٩ »

وفي ص ٥٠٨ « النقود العربية وعلم النميات للاب انستاس ماري الكرملي ، المطبعة العصرية بالقاهرة ١٩٣٩ »

ذكرهما المؤلف على انهما كتابان مستقلان وليس الامر كذلك لانهما كتاب واحد عنوانه : « النقود العربية وعلم النميات » والكتاب يحوي مجموعة مباحث عربية قديمة في النقود والسكة للبلاذري والمقريزي والذهبي وابن خلدون والقلقشندي . حققها .. الكرملي ..

د – « نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر .. القاهرة ١٩٣٢ .. »

كان هذا يقال قبل ان يكتشف السر ويعرف ان « نقد النثر » هذا ليس لقدامة وانما هو من كتاب « البرهان » لاسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب – وقد طبع مرتين في بغداد ١٩٦٧ ثم في القاهرة (؟) – وقد فصلنا ذلك في تحقيق سابق .

هـ – وملاحظات اخرى .. على الطبعات .. واسماء الكتب .. كالموازنة والاغاني ورسائل الجاحظ وشرح التبريزي « للمعلقات » (القصائد) ..

لقد قتل صدقة سنة ٥٠١ فهو هكذا لدى ابن الجوزي وقال : « كان كريما ذا ذمام عفيفا .. كان عليه رقيبا من الصيانة .. » ولدى ابن الاثير : « .. في رجب قتل الامير سيف الدولة صدقة .. امير العرب . وكان قد عظم شانه وعلا قدره واتسع جاهه ، واستجار به ضعفاء الناس وكبارهم فأجارهم » ، ولدى ابن خلكان « .. كان ذا بأس وسطوة وهيبة ونافر السلطان محمد.. السلجوقي فتلاقيا عند النعمانية وقتل الامير .. يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة وقيل العشرين من رجب سنة احدى وخمسمائة وحمل راسه الى بغداد رحمه الله تعالى وذكر عز الدين ابو الحسن علي بن الاثير في استدراكاته على السمعاني في كتاب الانساب انه توفي سنة خمسمائة والله اعلم » . وقد رأينا راي ابن الاثير صريحا في كتابه « الكامل » اذ ينص على « رجب ٥٠١ » ولعله اعتمد على الحافظة عندما ذكر سنة خمسمائة .

هذا وخير مصادر دراسة « صدقة » ما كتبه العماد الاصبهاني في نصرة الفترة (ينظر مختصرها باسم الزبدة للبنداري) والخريدة – وهو يذكر سنة ٥٠١ تاريخا لقتله .

ولئلا يفهم من كلام ابن خلكان ان السمعاني عرف بصدقة ، نقول انه لم يذكر شيئا عن صدقة وانما جاء كلام ابن الاثير في اللباب ٢٠٦/٣ من الزيادات على نسب « الناشري » : « قتله السلطان محمد بن ملكشاه في الحرة سنة خمسمائة » .

٣ – ص ٢٢٥ « لست بالراشد ان لم انتخي لهاشم عن حسبي وديني »

لم انتخي : لم انتخ .

(١٠)

مختصر التاريخ ، تصنيف ظهير الدين علي بن محمد الكازروني . حققه وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد ، وضع فهارسه واشرف على طبعه سالم الآلوسي ، بغداد، وزارة الاعلام ١٣٩٠ – ١٩٧٠ .

١ – استاذنا المرحوم الدكتور مصطفى جواد حجة في التاريخ كما هو حجة في اللغة .. واذا وردت ملاحظة فهي على الكتاب وظروفه وقد طبع الكتاب بعد وفاته ، ولا يمكن ان تكون على المحقق الملامة .

٢ – ص ٢١٥ – ٢١٦ « سيف الدولة صدقة بن منصور » ..

وفي الهامش : «هو صدقة الاسدي الناشري مؤسس الحلة .. ولقب بملك العرب .. قتل في حرب بينه وبين السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٥٠٠ ذكره ابن الجوزي في المنتظم « ٩ : ١٥٩ » وابن الاثير في حوادث هذه السنة وابن خلكان ..»

(١١)

الحياة الادبية في الشام (في القرن الخامس الهجري) – تاليف دكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي ، عمان ، مكتبة الاقصى ١٣٩٧ – ١٩٧٧ – رسالة حصل بها المؤلف على الدكتوراه من جامعة القاهرة باشراف الدكتور حسين نصار – لم يخل اخراجه «الانيق» من الخطأ المطبعي والاخلال بفهرس للمحتويات .

١ – ص ٨ « ومن الجدير بالقول ان كثيرا من تلك النصوص وجدته مخطوطا ، فمن الدواوين الشعرية المخطوطة ديوان التهامي .. والمختار من زهديات لزوم ما لا يلزم وديوان ابي اسحاق الغزي الذي لم ينشر منه الا حوالي الف بيت ، وقد نشرها « رفيق الحليمي » مع بحث قدمه لجامعة عين شمس للحصول على الماجستير » .

ا – ديوان التهامي مطبوع ، وقد ذكر المؤلف الطبعتين في قائمته للمصادر والمراجع .

ب – لا قيمة للمختار من زهديات لزوم ما لا يلزم –

اذا كان اللزوم موجودا مطبوعا ..

ج ــ كلمتا « ينشر » و « نشرها » بصدد ديـوان الغزي يعنيان يحقق ، وحققها .. لان الديوان لم يطبع .

٢ ــ يحيل المؤلف في صلب البحث الى ديوان الغزي كثيرا . فهو يحيل على عمل « رفيق الحليمي » ؟ لا ، وانما هو يحيل على ديوانه المخطوط بدلالة ص ٧٥٨ (المصادر والمراجع) فيذكر : ديوان ابي اسحاق الغزي ــ مخطوط على ميكرو فيلم بمعهد المخطوطات رقم ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩ــ واقل ما تعني هذه الارقام وجود ثلاث نسخ مختلفة من الديوان ، وهذا يقتضي ان يخصص الباحث النسخة التي يحيل عليها .

٣ ــ عد المؤلف من شعراء الشام في القرن الخامس « الغزي ابا اسحاق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الاشهبي المعروف بالغزي » .

هو غزي في مولده ونشاته وربما في اوائل شعره الذي لم يبق منه بيت واحد . هو شامي بهذا المعنى ، وقد ترجم له العماد الاصبهاني فيمجلده عنشعراء الشام. ولكنه ليس شاميا في المهم من شؤون حياته حتى الممات وفي شعره الذي وصل الينا ، ومن هنا كان المكان الطبيعي لدراسته في « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم » حيث قاله هناك في اعلام هذه البلاد واحداثها . وانـه ليبدو نشازا اذ يذكر مع الشعر الشامي . وكان اقل ما يستدعي منهج البحث النص على هذه الحال في المقدمة .

٤ ــ ص ٤١ « ولم يفت بعض الشعراء ان يمدح العلماء والفقهاء ، فابو اسحاق الغزي يمدح « اسماعيل الطغراوي » فيشبهه ببقراط ، ويصفه بالرسوخ في العلم فيقول : .

يا واحد الدنيا ، وبقراط العلى جبل العلوم ، وفحلها الدهانا ..

أ ــ صحيح الطغراوي : الطغرائي ــ وهو ابـو اسماعيل الحسين بن محمد بن عبد الصمد اكبر شعراء القرن الخامس ــ السادس (قتل سنة ٥١٥)

ب ــ وصفه ببقراط .. لانه من اعلام العلوم المنقولة (الكيمياء خاصة) وكان المناسب ــ لهذا ــ وصفه بهرمس لانه لم يكن طبيبا ليوصف ببقراط .

وثائية الغزي هذه احدى القصائد التي حشرت ــ خطأ ــ في ديوان الابيوردي ط . بيروت ١٣١٧ .

٥ ــ ص ٤٢ « الطغراوي » : الطغرائي .

٦ ــ ويقول الغزي ص ٤٢ :

ذاك علامة الزمان ومن ليس له غير نصرة العلم سؤل
وله في مفاوز الكتب خريت بلاغ عن نهجها لا يحيل

أ ــ صحيح سؤل : سول (بالتخفيف) ، وخريت : خريت .

ب ــ في كتابة الاشطر تقسم « ليس » ، و«خريت» بين الشطرين لي س ، خر (م) يت

ج ــ في القاموس : الخريت كسكيت الدليل الحاذق

د ــ ما معنى بلاغ ؟!

٧ ــ ص ٩٥ ابن الخياط :

خذا من صبا نجد امانا لقلبه فقد كاد رباها يطير بلبه

الصحيح : رياه ــ وهو من الخطأ المطبعي .

٨ ــ ص ١٠٨ « الغزي .. يذم مدينة بغداد :

ان كنت سرت عن العراق مؤنبا حيا فلست بشاكر بغدادا
مصران لو مكث ابن مامة فيهما مقدار لمحة ناظر ما جادا

أ ــ صحيح حيا : جيا ــ وجي هي اصبهان او ــ لدى الدقة ــ احدى مدينتي اصبهان .

ب ابن مامة ــ كما في القاموس المحيط ــ كعب بن مامة جواد من اياد .

وهذه الدالية مما حشر خطأ في ديوان الابيوردي ط. بيروت ١٣١٧ ــ وقد وردت « جيا » فيه بالجيم .

٩ ــ ص ١٠٩ « ويهجو الغزي مدينة مرو ..

بخلوا بمروة وعز المروة اصبحت ماوى اللئام ومجمع اللوام

البيت غير موزون في صدره ..

١٠ ــ ص ١١٥ ــ ١١٦ :

سفر الربيع نقابه بيد الصبا عن منظر حسن كايام الصبا
لم يسحب ذيل السحاب وكمه الا تارح منهما جيب السربا

أ ــ وردت سفر بسكون الفاء والمناسب سفـر بفتح الفاء ، ووردت « كمه » مجرورة والصحيح الرفع لانها معطوفة على « ذيل » الفاعل .

ب ــ الا تارح : صحيحها : الا تارج ، بالجيم .

ج ــ السربا : الربا .

والمقطوعة البائية مما حشر خطأ في ديوان الابيوردي ط . بيروت ١٣١٧ .

١١ ــ ص ١٢٩

لئن جلينا صروف الدهر اشطرها فكلنا بظروف الدهر جهال

صحيح جلينا : حلبنا ، وصحيح ظروف : صروف. واللامية مما حشر خطأ فيديوان الابيوردي ط بيروت

١٢ ــ ص ١٣٠ :

فاقضوا ماربكم عجالا انما اعماركم سفر من الاسفار

صحيح ماربكم : ماربكم بالمد .

١٣ ــ ص ١٣٠ ، الغزي :

وقد تصقل الضبات كل كليلة ويصدا حد السيف وهو مهند

أ ـ الضبات : الظبات .

ب ـ كل كليلة : وهي كليلة ـ وقد ورد البيت محشورا في ديوان الابيوردي .

١٤ ـ ص ١٩٨ ، ابن حيوس :

تخيفني الزمان بكل فن فما انفك في داء عضال

أ ـ تخيفني : صحيحها تحيفني (بالحاء) .

١٥ ـ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١

الى الله اشكو من اوام اسف بي على حوض آمال تشظى نصابيه

ومن عمر لو كان امرا معوضا الى انقضى باقيه او عاد ذاهبه

يقتضي بناء البيتين الرجوع الى الاصل ، اذ كيف تكون قافية البيت الاول : نصابيه ، وقافية البيت الثاني: ذاهبه .

وربما كانت قافية البيت الاول : ناصبه ـ مع تعديلات مناسبة . وربما كان صحيح « معوضا » بالعين: مفوضا بالضاد .

١٦ ـ ص ٢٩٨ : ابو العلاء ..

وما صح للمرء المحصل انه بكوفان قبر الامام يزار

الصحيح قبر للامام يزار

١٧ ـ ص ٣٢٠ ، الغزي لا يعترف بالشاعر العراقي « حيص بيص » أميرا للشعراء .. فيقول :

انا محيي رميم عظام المعاني خاتم الشعر غصة الجهال

أ ـ الصدر مضطرب ، ولعله : انا محيي رميم عظم المعاني ، وربما كانت المعالي بدلا من المعاني ـ على التصريع .. لعله ولربما .

ب ـ ما الرابط بين الغزي والشاعر العراقي حيص بيص ؟ عندما ولد حيص بيص (سنة ٤٩٢) كان عمر الغزي (المولود سنة ٤٤١) احدى وخمسين سنة، وعندما مات الغزي (سنة ٥٢٤) في الثالثة والثمانين من عمره ، كان حيص بيص في الثانية والثلاثين ـ هذا من ناحية السن ، اما من ناحية المكان فقد كان حيص بيص في العراق وكان الغزي (في الشطر الاخير من عمره) بعيدا عن العراق (وعن حيص بيص) ، كان في خراسان وكرمان واصفهان وفارس وخوزستان ..

واذا كان حيص بيص ـ على هذا ـ قد لقب بأمير الشعراء ، فان ذلك يصعب ان يكون في حياة الغزي ، وكيف يلقب بأمير الشعراء وهو في الثلاثين ؟!

المهم : لا علاقة تذكر ـ بمقتضى منهج البحث ـ بين الغزي مفتخرا بشعره (ولا نعرف تاريخ الفخر) .. وبين حيص بيص اميرا للشعراء .

ثم من لقب حيص بيص بأمير الشعراء ؟ ومتى ؟ وهل ورد في قصيدة الغزي ما يشير الى الشاعر او الى اللقب ؟ ان البيت الذي استشهد به المؤلف لا يخص شاعرا بعينه .

١٨ ـ ص ٣٨٧ ، الغزي :

لنقرطقن بنات اعرج بالقنا يوما تصير به الذكور اناثا

والطير يجمع جنسها اسم واحد ولقد تكون جوارحا وبغاثا

وهما البيتان اللذين يذكرهما في قصيدة اخرى .

أ ـ بغاثا : بغاثا .

ب ـ البيتان اللذين : البيتان اللذان .

ج ـ ورد البيتان متباعدين في التائية المار ذكرها المحشورة في ديوان الابيوردي ط. بيروت . وورد فيه لنقرطقن : ليقرطقن ، ويوما : يوم (على انه فاعل)

١٩ ـ ص ٤٢٣ :

لو توسلت بالظبا والعوالي لسعى سلاهب كالسعالي

أ ـ البيت يستدعي الرجوع الى الاصل .

٢٠ ـ ص ٤٢٣ :

ومزايا حسن البوادي بواد بهلال في حلة من هلال

أ ـ ربما كان الافضل ان تكتب « بواد » على بوادي ليتم الجناس الذي ينشده الشاعر قصدا .

ب ـ من هلال : ربما كانت ابن هلال .

(١٢)

الطليعة الادبية ـ بغداد ، ايلول ١٩٨٠ ـ عدد خاص بالمسرح .

في مقال لمالين مككوكين ترجمه عبد الستار شويليه ص ١٩١ بعنوان « فن المسرحية » ورد : « المؤرخ الروماني بلوتارك » ـ والصحيح ان بلوتارك مؤرخ يوناني.

علي جواد الطاهر
جامعة بغداد ـ كلية الآداب

الشاعر والحياة

*

لي ـ كانسان ـ يا اخي اخطاء ... وطموح ... وهمة شماء
اعبر العمر بين مد وجزر ... كشراع تلهو به الانواء
اكتم الدمع تحت جفني خوفا ... ان يراه في مقلتي الكبرياء
واواري عن العوائل حزني ... فهم ـ رغم حبهم ـ اعداء
ليس لي في الحياة غير صديق ... يلتقي عند نديه الشعراء
عالمي ضيق الجوانب رحب ... ترتمي عند حده الارجاء
وسمائي تألق الوحي فيها ... رترامت في ضفتيها سماء
اسكب الروح في الكؤوس واسقي ... ندماني .. ان اخلص الندماء
ومن الصدر امنح الناس بعضا ... من فؤادي.. او من دمي انشاؤوا
فاحترام الحقوق اول درب ... سار فيها الى الدنى الاوفياء

يا اخي ، ان اردت مني احتراما ... كن وفيا .. ان الحياة وفاء
واحفظ العهد عن رضى وصفاء ... فحقوق الرضى يفيها الاخاء
وحذار الغرور ذلك داء ... ليس يشفيه ان تفشى دواء

انا لو عن جهل هضمت حقوقا ... لك.. فارفض..هل يستبيك الحياء
واذا شئت بعض حق فعاتب ... ربما كان في العتاب الصفاء
انت لما تزل اخي وصديقي ... رغم انف الدنى .. علام الجفاء
لا يضير الاخوان مكر دخيل ... طبعه بين الاصدقاء عداء
فالماقي وان تمادى قذاها ... لا تواري صفاءها الاقذاء

انا لا اشتهي بقايا رغيف ... يتشهاه عن طوى الفقراء
ان بعض الفتات يشبع جوعي ... وهو جوع في الحالتين سواء
كلكم اخوتي وابناء امي ... صنعتنا من ضلعها حواء
ملهمي في معارج العمر قلب ... ضل عن فهم قصده الجهلاء

صاح لا تحسب الحياة خلودا ... ابديا ، فللحياة انتهاء
كيف نطوي في قبضة اللحم عهدا ... سنه الدهر .. وارتضاه القضاء
عزة المرء ان يكون صريحا ... لا يداني نقاءه الصرف ماء
لم يعد يجدي في الحياة خداع ... بعدما ساد عرشها الشعراء

فنزويلا

جورج يوسف شدياق



احمد حسين الطماوي

تحيتي لمجلة الأديب بمناسبة دخولها السنة الاربعين

بقلم احمد حسين الطماوي

* * *

تعتبر مجلة « الاديب » جامعة كبرى ، فيها الاساتيذ الكبار ، وفيها الناشئة الصغار ، الذين يلبثون فيها حتى يتسع فكرهم ، وتستطير شهرتهم ، ثم ينخرطون منها فيتركونها الى غيرها من المجلات والصحف الاخرى ، كصغار الطير، تلوذ مستدفئة بحنان ابويها حتى اذا برز ريشها ، وهمت بالحركة واستطاعت الطير تركت عشها وحلقت على الافنان ، وقليل من هؤلاء الذين كبروا فيها، ظلوا على وفائهم لها ، وداوموا وصالها ، وامدادها بالمقال الجيد ، او القصيد الرائع ، او القصة الماتعة .

تعتبر « الاديب » من المجلات التي تحمل اسم منشئها ، ويعبر اسمها عن شكلها ومضمونها فهي مجلة تبحث في كل شيء ولكن قوامها الادب وفنونه ، ويعتبر صاحبها الاستاذ البير اديب هو هيئة تحريرها ، فهو رئيس التحرير ، ومصحح المادة ، ومحرر اخبار الادب والادباء فيها ، ومدير شؤونها التجارية من شراء ورق لها وتوزيع اعدادها .

وهي من المجلات القليلة في العالم العربي التي ظلت تصدر طيلة اربعة عقود متلاحقة بلا توقف او تعثر - باستثناء فترة الحرب الاهلية في لبنان - بجهود صاحبها وامكاناته دون معاونة حقيقية من احد ، فأي مجد لهما ولمؤسسها . وهنا ايضا مناط اعجاب الناس بمنشئها ونظرتهم باكبار له .

صدر العدد الاول من الاديب في يناير ١٩٤٢ ، ونيران الحرب العالمية الثانية تأكل كل شيء ، وفي مثل هذه الاوقات توصد المجلات ابوابها ، وتقلل الصحف اليومية من صفحاتها لقلة الورق ، ولكن البير اديب بهمة الرجال استطاع اصدارها ، وتوفير ما تحتاج اليه من ورق وفكر ومطابع .

واذا كان لا بد ان نتطرق لموضوعات « الاديب » ونعرض لخطوطها العامة ، فاننا نقول انها التزمت منذ نشأتها بخطها القومي العربي ، لذلك لا تنشر فكرا يهاجم الاديان ، ولا تعرض موضوعا يخرب الاخلاق ، بل انها تعمق الاحساس بالعروبة ادبا وحضارة ، وفي هذا الشأن نقرا فيها عشرات المقالات مثل « العرب بين الفلسفة اليونانية والادب اليوناني » لمحمود اللبابيدي ، « المعارف الطبيعية عند العرب في العصر الحاضر » لمحمد يحي الهاشمي ، « الحضارة العربية » لقدري حافظ طوقان « العرب في صقلية » لحسن دوغان ، « نهضة العرب » لعبد الوهاب عزام .

ومجلة الاديب بكل صدق مجلة حضارية تناقش قضايا الانسان ، وتترفع عن التعصب الديني ، والتحزب الطائفي ، لذلك نقرأ على صفحاتها دراسات عن الاسلام ورجاله الافذاذ مثل مقال الاستاذ وديع فلسطين عن كتاب « ابو حنيفة » لعبد الحليم الجندي ، ومقال الدكتور عبد الرحمن بدوي عن كتاب « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » لمصطفى عبد الرزاق ، ومقال الاستاذ يوسف اسعد داغر عن القرآن الكريم متى طبع ومتى ترجمت معانيه ، ومقال لعنتر مخيمر عن كتاب « القرآن ونظرية الفن » لحسين علي محمد .. الى آخر ما يطالعه القارىء في اعداد الاديب القديمة والحديثة .

كذلك لا تتحيز المجلة لراي دون آخر ، فنراها تفتح ساحاتها النقاش والجدال والعراك ، فلا تتبنى وجهة نظر بعينها في موضوع معيّن وتحول دون الرد عليها ، لذلك ترى « زاخرة » بالاراء التي يخالف بعضها بعضا، وبالافكار التي تتقادح فيها ، والاخطاء التي تصوبها لكتابها او لكتاب المجلات والجرائد الاخرى . وماذا تكون المجلة الجيدة اكثر من هذا ؟ وقد دارت على صفحاتها معارك فكرية اشترك فيها عبد الوهاب عزام والشيخ احمد رضا ، وعيسى اسكندر المعلوف وعمر ابو شقرا وعمر فروخ .. الى آخره .

وقد اهتمت المجلة بمستقبل العرب ، وتبين نبوءات كتابها ، وتصورهم للامور التي ستكون عليها البلاد في الايام التالية ، ومن بين هذه التصورات تطلعات مثالية ،

واخرى واقعية ، ولكنها لا تقف فقط عند احداث الماضي، بل ترنو الى ما سيحدث في الغد . ونستطيع ان نقـرأ صورة لتوقعات الكتاب من خلال هذه المادة الكبيرة التي عرضوها في مقالات تتناول كل المجالات والاتجاهات مثـل « غدنا العلمي » لرئيف ابي اللمع ، « غدنا الادبي » لخليل تقي الدين ، « غدنا السياسي » لامين محمد ابو عزالدين، « غدنا التربوي » لجورج شهلا ، « غدنا الفني » لمصطفى فروخ ..

وفي مجال تشييد العمران والارتقاء بالاوطان اثارت المجلة على صفحاتها موضوعا هاما هو اثر المهنة في بنـاء الامة ، وعرضت افكار مجموعة من الرجال تختلف وظائفهم في مجتمعهم ، فوضح كل منهم اثر مهنته في تقدم امتـه ، واعلاء شانها ، وكان من هؤلاء المعلم والتاجر والمحامي ، والعامل ، والطبيب ، والرسام ، والكاتب ، فهذه المجموعة من المقالات معرض لآراء عدد من المتخصصين مثل قيصر الجميل وميشال شبلي ، والياس ابي شبكة ، ومحمد خير النويري ، ومصطفى العريس ، ومحي الدين النصولي ، وامين مشحور ، وروز غريب وعمر فاخوري .. وغيرهم.

والمجلة تعتز بالسابقين من اعلام الادب العربية ، فتنشر عنهم الدراسات الجيدة ، بل انها في سنتها الثالثة عام ١٩٤٤ اصدرت عددا خاصا عن ابي العـلاء المعري بمناسبة الذكرى الالفية على مولده ، فتتناول حياته ، وتحلل ادبه ، وتجلي عبقريته ، وتبرز افكاره ، ولا يقتصر دور « الاديب » على تقديم وجبات فكرية عن الادب القديم ورجاله ولكنها في مجال عنايتها بالشرق تبين اثر الفكـر الاوربي الوافد على ادبنا العربي الحديث، فتقدم في سلسلة مقالات ادباء فرنسا الذين يمثلون الحركة الفكرية بعد انهيار الامبراطورية النابليونية ، وما احدثوه من اثر في النهضة الادبية في بلاد المشرق من امثال اسكندر ديماس الاب ، وفكتور هوجو .. وغيرهما .

ولكن كم عدد الذين كتبوا في « الاديب » على مدى اربعين عاما ؟ مات منهم من مات ، وبقي على قيد الحياة من بقي . ان العد والاحصاء مرهق في هذه الحـالة ، والاجدى ان نقول مع البير اديب ومن لم يكتب فيها ، لقد طالعنا العديد من المقالات والبحوث والقصص وا لقصائد لكبار الكبار مثل مقالة « التربية الكاملة للاديب » لتوفيق الحكيم ، ومقالة « غدنا الاقتصادي » لكمال جنبـلاط ، وقصة « قبلة الساق » وغيرها لمحمود تيمور ، و«رسالة المراة العربية » لاحمد امين ، و « نهضة العرب » لعبـد الوهاب عزام ، وقصيدة من خليل مطران الى صديقـه صلاح الاسير .. فالمجلة ولا شك ملتقى الادباء الكبار منهم والصغار ، وهي من اجل هذا مرجع هام ، نرجع اليهـا عندما نترجم لادبائنا ، ونؤرخ لنهضتنا المعاصرة .

وقد ظل البير اديب زمنا يكتب افتتاحية اغلـب الاعداد في موضوعات ادبية او علميـة ، ويختتم المجلـة بتدوين « مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر » وكان يتقصى في الباب الاخير انباء المعارك ويسجـل اراء السياسيين اثناء الحرب الكبرى الثانية . اما افتتاحيات المجلة فقد كان يودع فيها خلاصة ارائه في ايجاز مفيـد ، وتركيز شديد ، فيجمل القول في القضايا بالمعية واقتدار، ويمكننا التعرف على وجهات نظره المختلفـة في الاداب واجناسها ومحاورها ، ففي افتتاحية عدد فبراير ١٩٤٣ نجد مقالا بعنوان « في الاداب العامة والخاصة » يتحدث عن وحدة الادب، فيربط بين الاداب العالمية والادابالوطنية ويرى ان « الاداب الكونية وحدة لا تتجزأ » ، ومع ان لكل بيئة ادبها المعبر عن طبيعتها وتاريخها، الا ان هناك قدرا مشتركا من المفاهيم والاصول والاسس بين الاداب العالمية تلتقي عنده ، ويتأثر احدها بالاخر ، والبير اديب هنـا يتحدث عن جوهر الادب المقارن دون ان يذكره بالنص ، وفي مقال اخر عن « الثقافة العقلية » يعرض لمظاهر القوة الذهنية التي تتمثل في « تحليل الموضوعات المركبة الى اجزائها البسيطة والوصول من النتائـج الى الاسباب ، واكتشاف اخفى الفروق والمشابهات بين الاشياء وقراءة المستقبل من خلال الحاضر » . وهو هنا يدعو الى التحليل والتامل ، ويبين قدرات الذهن وامكاناته على التحليق في آفاق المعرفة ، والتعمق في مدلولات الاشياء لاكتنـاه اسرارها ، والغوص في اغوارها ، وما زالت الطريقةالتحليلية من اهم مراحل البحوث لاظهار الخفايا ، وجلاء الغوامض. على اننا نجد في افتتاحية السنة الرابعة خطة المجلة وتوضيح رسالتها ، يقول صاحبها « تكافح الاديـب الابتذال الذي تروج له الصحافة الخفيفة بشتى وسـائل الاغراء ، وتكافح العدوان الذي يرمي به العرب عن طريق الفكر باسم الامانة العلمية . فهي اذن تتلمس الادبالرفيع والثقافة العالية ، فتقدمهما على ايسر سبيل من نحو ، وتهدف الى قومية سليمة وعلى ضوء عقيدةاستقلاليةحرة وايمان عربي اصيل من نحو اخر » ..

وهذه الكلمات خير ما نختتم به الحديث في هـذا الجزء من مقالنا عن مجلة « الاديب » وهي تكشـف في وضوح الخط السامي الذي التزمته المجلة ، وسار عليه كتابها منذ انشائها وحتى اليوم .

* * *

ولد البير اديب في المكسيك في غرة يوليو ١٩٠٨ ، ولكنـه نشأ وتلقى تعليمه في مصر ، وقد هيأ له وجوده في القاهرة فرصة الاتصال برجال لفكر والسياسة فساهم في الحركة الادبية والصحفية وقد الفينا له قصة يبدو انها مترجمة بعنوان « القسم » في مجلة الرقيب عدد ١٩ يناير ١٩٢٨(١) وتتناول فيها حكاية جندي كان يعشق فتاة ، وعندما اراد الاقتران بها وحالت الحرب دون ذلك اقسم لها بشرفه الا يتزوج من سواها ، ويذهب الجندي الى القتال ، وتمر ليال كئيبة على الفتاة ، وينتهي بها المطاف الى احد القواد

حيث تعمل خادمة ، ويدخل الجندي في معركة مع العدو وينتصر عليه ، فيقيم له القائد حفلة راقصة للتعبير عن ابتهاجه بهذا النصر ، وتعجب ابنة هذا القائد بشجاعة هذا الجندي ويقرران الزواج ، وفي ليلة الزفاف تراه حبيبته (الخادمة عند القائد) فتقع مغمى عليها ، وعندما يعرف القائد وابنته حكاية حب الجندي والخادمة ، يأمر بزواجهما ، وتخلع ابنته ثوب عرسها وتلبسه لخادمتها ، وهكذا اصبح الجندي بعلا لحبيبته ، وبر بوعده ، ورفع شرف الجندية الذي اقسم به .

نشرت الرقيب هذه القصة وفي صدر الصفحة صورة الشاب البير اديب الذي كان يرسل بأعماله الادبية في ذلك الوقت من الخرطوم . ولم تكن هذه المجلة هي الوحيدة التي كان يسجل فيها انتاجه الفكري ، فقد ساهم في الصفحة الادبية لجريدة « كوكب الشرق » لصاحبها احمد حافظ عوض ، ومجلة «الروايات المصورة» وقد ربطت بينه وبين المازني صداقة خالصة ، ويقول البير اديبَ انه عاون المازني عندما اصدر مجلته » الاسبوع » التي لم تعمر طويلا . ولما زار المازني لبنان عام ١٩٣٥ التقى الصديقان وعرض البير اديب انتاجه الادبي على صديقه فباركه .

ويتوقف نشاطه في مصر ويسافر الى لبنان عام ١٩٣٠ ، ويزمع اصدار صحيفة يطلق عليها اسم «البدائع» ولكن صديقه الاخطل الصغير يعرض عليه المشاركة في تحرير « البرق » فيقبل ، وتلفت المجلة نظر قرائها الى مساهمة البير في تحرير مادتها اعتزازا بمكانته عند القراء ، ثم يعمل سكرتيرا لتحرير جريدة « الشعب » التي كان يصدرها امين نخلة ثم يحرر في مجلة « المعرض » لصاحبها ميشال زكور ، ويمضي الرجل في الكتابة ويواصل العطاء فيشارك في تحرير مجلة « المكشوف » التي اسسها فؤاد حبيش ، ولكن كل هذا لم يحول تفكيره في اصدار مجلة يوجهها حسبما يريد ، وكان يشجعه امثال نقولا فياض ورئيف ابي اللمع على سلوك هذا المسلك ، واخيرا ينفرد باصدار « الاديب » ويحقق امنية قديمة طالما راودته والحت عليه الحاحا (٢) .

وقد عمل الاستاذ البير اديب رئيسا للقسم العربي في الاذاعة اللبنانية او محطة راديو الشرق ، ومن خلال عمله هذا مكن عددا من كبار الادباء العرب ليخاطبوا الجماهير العربية . ويحدثنا الاستاذ وليم صعب في احد اعداد « الاديب » بأن البير كان اول من اوجد برنامج الربع ساعة في الاذاعة العربية ، وبالرغم من ان الحرب العالمية الكبرى الثانية كانت في اوج احتدامها والفرنسيون في لبنان والانكليز في فلسطين فقد تمكن « اديب » و « نويهض » من العمل لمصلحة لبنان وفلسطين والعالم العربي باضفاء الروح الوطنية الاستقلالية المتحرزة على الاذاعتين (يعني محطة راديو الشرق التي كان يشرف عليها البير اديب والاذاعة الفلسطينية التي كان يعمل فيها عجاج نويهض) .

ومن ذكريات البير اديب الطريفة التي رواها لجوزيف ابو زيد اثناء عمله في الاذاعة انه عندما تقدم وديع فرنسيس للامتحان في الغناء والموسيقى ، اعجب بصوته وقبله ، وسماه وديع الصافي لصفاء صوته ، فصار هذا اسمه الذي يعرفه كل من يعجب بغناء مطرب المطربين او وديع الصافي .

وكان لخطه القومي العربي الواضح ان اعتقلته السلطات الفرنسية اثناء الحرب العالمية الثانية وحددت اقامته ، وبعد عدة سنوات من هذا الحادث اسس مع كمال جنبلاط « الحزب التقدمي الاشتراكي » كما تم اختياره ليكون امين سر « كتلة التحرير الوطني » .

وفي الوقت الذي اصدر فيه مجلة « الاديب » كان يزمع انشاء دار كبرى للنشر تضم مجلة اسبوعية وجريدة يومية ومؤلفات اخرى ، ولكن قلة الورق اثناء الحرب بدد هذا الحلم . بيد ان صاحب الاديب وفق الى اصدار « كتاب الاديب » وهو عبارة عن سلسلة كتب كان فاتحتها الكتاب الذي صدر عن المعري في ذكراه ، وتلاه صدور مجموعة من الكتب المترجمة والمؤلفة مثل « سارق النار » لخليل هنداوي و « لا هوادة » لعمر فاخوري ، و «ديغول الاديب » تاليف جان غوليه ، وديوان «الواحة» لصلاح الاسير .

وهذه الكتب لم تكن تصدر دورية، فكتاب الاديب لا يلتزم بزمن معين يظهر فيه ، ولكن النشر مرتبط بوجود الكتاب الجيد ، وهكذا ساهم « كتاب الاديب » في نشر الثقافة والنهوض بالفكر وتوسيع دائرته .

والبير اديب رغم الصعاب الراعبة التي لاقاها ، والايام القالبة التي غالبها ، شق طريقه ، وتبوأ مكانته العالية بين رجال عصره ، وعندما ضاقت به الحال باع مكتبته بسعر زهيد ليواصل العمل ، ويصدر مجلته ، ورجل الفكر قد لا يحزنه بيع ملابسه ، بقدر ما يؤلمه بيع كتبه وهي حياته الوجدانية ومصدر سعادته ، ورغم ضعف بصره لم يقيده اليأس ويفل حركته وهو القائل :

واما نحن
فلا خوف على اوكارنا
من شتاء او خريف
نبنيها في بقعة الرجاء
حجرها من اكبادنا وافئدتنا
وجبلتها من طين الاماني .

وبعد هذا الجهد الكبير ، كان لا بد من موقف كريم ، وكلمة شكر وعرفان لصاحب الفضل ، فكانت حفلة التكريم التي اقامتها له الصحافة اللبنانية ونقابة محرري الصحافة اللبنانية ورابطة الشباب المثقف في بيروت في ١٨-١٢-١٩٦٩ لمناسبة مرور ثمانية وعشرين عاما على

صدور الاديب وسطوعه ، اشاد فيها كتاب العربية بأحد بناة نهضتها ، وهداة فكرها ، وقد شاركت مصر في هذا التكريم باشعار للاستاذ محمد عبد الغني حسن ودراسة للاستاذ انور الجندي وكلمات تحية وتقدير للاديب وديع فلسطين . وفي هذا الحفل الميمون علق الدكتور شارل رزق وسام الارز الوطني باسم رئيس الجمهورية على صدر البير اديب فادت لبنان شيئا من دينها لهذا الرائد العظيم .

اما اهم اعمال الاستاذ البير الادبية فهي مجموعة من الشعر المنثور اطلق عليها « لمن ؟ » وهذه التسمية مأخوذة من قطعة داخل الكتاب تحمل نفس العنوان، وهذه المجموعة نشرها او نشر معظمها في مجلة الاديب في بداية ظهورها ، وصدرت عن دار المعارف بمصر في ٢٩ فبراير ١٩٥٢ مزينة بعدة رسوم من ريشة فنانة اسمها شهرزاد.

وهذا الشعر المنثور الذي تخلص من قاعدتي الشعر الاساسيتين الوزن والقافية عرفته الشعوب الشرقية قديما من سريان وعبرانيين ، وامتد هذا اللون من التعبير حتى كتبه عدد من شعرائنا في العصر الحديث .

و « لمن ؟ » تتآلف فيه الالفاظ في ديباجة صافية وتحلق في جو الخيال الشعري ، وتصور الاحاسيس وتلقي الضوء على حقائق النفس ، وقد كتبت بعبارة رقيقة شاعرية فيها عمق فلسفي ، ولا تخلو عباراته من تنغيم موسيقي ، او رنين قافية سرعان ما ينقطع بعد ان يكون قد ترك في الاذان رنينا وطربا ، وفي النفس حركة واثرا .

ومن خصائص هذه المجموعة انها تغري بالقراءة ، وتبعث على المتابعة ، وتغرس بذور الفضيلة والمحبة والمعرفة في المرء ، وتجمع في ثناياها اضطرابات النفس والخاطر ، وايحاءات العقل والخيال ، وتبرز ما في الانسان من تناقضات في طبيعته وسلوكه من لطف وجلال ووجد وارتداد وخسران وفوز ورجاء .

قد حظيت هذه المجموعة بشهرة واسعة ، وفضلا عما كتب عنها من تحليل لها واعجاب بها فان بعضها ترجم الى عدة لغات اجنبية لما اشتملت عليه من الصور الدقيقة، والمعاني الواسعة وقد قال الاستاذ الاسماعيل عامود عن « لمن ؟ » : « ان الرمزية التي اعتنق مذهبها البير اديب هي رمزية غامضة لدرجة العماء » ولا زلنا نرفض الرمزية الغامضة المعتمة ، ونقبل الاشارة لان فيها ابانة واثارة ذهنية ، ولا ننكر ان في هذه المجموعة بعض الصور الرمزية المبهمة ، ولكن ليست كلها كذلك ، فان صورا كثيرة منها مشرقة صافية ، واذا كانت « غامضة لدرجة العماء » فكيف ابانت وافصحت وافادت ؟ ثم كيف تبينها وهي عمياء ؟ بل [illegible] استوحاها وافاد منها ، حتى اشاد بها واثنى عليها .

يقول تحت عنوان « الذوق الفني » :

لا وجود للجمال او للقبح
كل شيء في هذه الحياة
وليد العادة
ويشتق منها
نحن نعتاد القبح
ونعتاد الجمال
فليس للقبح والجمال بعد الالفة
مقياس او فارق

ففي هذه القطعة يخلع على احساسنا بالجمال طابعا سلوكيا يتمثل في تعودنا رؤية هذا الشيء جميلا او قبيحا، فنحن لا نقرر ان هذا الشيء جميل او قبيح لانه كذلك ، ولكن لاننا تعودنا ان نراه هكذا ، او نعرفه من خلال مفهوم معين ، اي اننا اذا ادركنا في الاشياء ما يتماشى مع عاداتنا ، ويأتلف مع ما الفناه فهذا هو الجميل ، واذا لم يكن كذلك فهو النقيض . وهي فكرة لا تخلو من علو نظر .

فاذا سحبنا هذا المفهوم على التذوق الفني للموضوعات او الاشياء المعروضة للنظر ، نفينا منها ما يتعارض مع سلوكنا باعتباره قبيحا ندينه ، وقبلنا ما يساير وجهة نظرنا المسبقة والمستقرة او ما تعودناه جميلا فنزكيه ونقبل عليه ، ونقنع الاخرين به .

حتى اذا تكررت الصورة التي الفت نفوسنا ان نراها جميلة ، ووصل التكرير الى مرتبة الرتابة ، ودرجة الملل ، ولم تعد خطوطها والوانها تبعث الحركة فينا ، ولم تقدر ان تفرض جمالها على ادراكنا الحسي ، نراها ذابلة ذاوية ، وفي هذه الحالة يمضي تأثيرها علينا فيبحث ذوقنا الفني عن موضوع جديد ليتخلص من الرتابة التي ادركته والبلادة التي افقدته قدرته وقوته على الاحساس بالاشياء .

وتتفق نظرة البير اديب في هذه الحالة مع القائلين من فلاسفة « علم الجمال » بانه ليس للجمال اي تواجد طبيعي ، ويذهب بعد ذلك كل منهم في طريقه .

هذا نموذج من مجموعة « لمن ؟ » كل واحدة منها جاءت بنظرة معينة ، ودلالة محددة ، وهذه النظرات الكثيرة ، والدلالات الواضحة ابتدعت من نفس واحدة ، دارة جائدة . وكل قطعة منها تمثل الحالة الشعورية التي تولدت منها ، واختار لها من الالفاظ الموحية ما يناسبها ويتلاءم مع طبيعتها ، واهتدى الى الشكل الفني الذي يخرجها فيه حتى تصير اكثر عطاء وغناء وقد يكون بعضها ارفع من بعضها ، وهكذا الفنان . وقد نتفق او نختلف مع المؤلف في معانيه او نتائجه ، ولكننا في جميع الحالات نطالع صورا فنية للحياة والناس والطبيعة كما رآها ووقعت في نفسه ، او كما رواها وحدثنا بها

وصوح الروض

*

.. وصوح الروض مذ جفت حميانا — وابعد الياس ندمانا وادمانا
وشردت شملنا هوج الرياح الى — ان خيم التيه .. مذ تاهت مطايانا
واظلم الكون من حولي فلا الق — للعقل وعيا .. وللفنان اوزانا
وامحل العصر من اصفى الرجال فما — في الناس تلقى (نعيميا وجبرانا)
وودع الادب العالي مهاجره — وغيب الجهل نقادا وفنانا
وامعنت كل آفاق الوجود بنا — هدما وذلا وتفريقا وحرمانا
وافلست كل نهضات الحمى وغدت — كل القضايا اقاليما واديانا
وامحلت كل ندوات البلاد على — ما في محافلها خايلت فتيانا
حتى الربيع الذي ازهاره عبقت — في العود ندا وفي الاوراق ريحانا
شاخ الجمال بها واصفر اخضرها — واصبح الزهر اشواكا وبلانا
والوعتي .. خفتت اصداؤها ومضت — تبكي العذارى بها .. ارضا وشبانا
حلت بها عاديات الدهر وانقلبت — اعراسها تندب الاموات فرسانا
تحول العز ياسا والحياة ردى — والشدو دمعا ـ وطير الروض غربانا
تفرق العرب وانحلت روابطنا — واصبح الناس تجارا وعبدانا
تاكلت ما به الاحقاد من ادب — وعاد للجهل يبني مثلما كانا

سان باولو ـ البرازيل
ص.ب ٥٥٨٥

ـ فارس بطرس

بيانه حتى جعلها تتراءى امامنا في هذه الصور الاخاذة ، والمشاهد الجذابة .

وبعد فهذ ه كلمة موجزة ، وتحية هادئة . وجب علينا توجيهها من مصر الى مجلة « الاديب » الشامخة وصاحبها في هذه المناسبة الجليلة .

(١) كان يصدرها في مصر جورج طنوس في الفترة من ١٩١١–١٩٢٨ .

(٢) مجلة الرابة عدد ١٢٨ الصادر في ٦–١–١٩٧٩ .

القاهرة — احمد حسين الطماوي

على غير العادة تطايرت خطوات (عامر) المرحة بين دروب الكفر وهو يتشبث برسالة انيقة وصلته توا من مجلة (الفن الرفيع) تعلن فيها وباختصار متكبر ان قصته التي وصلتها جيدة ونشرها وشيك ..

امسك بالرسالة شعر بتيه غريب يطيح بتلك الوداعة الخامدة التي عاشها سنوات فوق طريق الكفر الترابية ، وبعدها لم يعد له حديث الا عن القصة الجيدة ، والنشر الوشيك ، والخروج من تحت طيات طين يبتعد اميالا واميالا .

وقبل شروق الشمس في يوم صدور المجلة كان (عامر) يأخذ طريقه في الظلام الى المحطة البعيدة ليستقبل قطار الصحافة واطياف من سطور الرسالة تلوح له ، وتظلل خاطره ، وتخفف في رحلته من عناء ووحدة .

وبعد الظهيرة يعود منكسا ، وداخل عينيه الضيقتين يبدو اثرا لحطام ، ومع تكرار رحلة ما قبل الشروق تحولت الرسالة الى ضباب بارد كذلك الذي يلف اكشاك المحطة في ظلام الفجر ..

واخيرا .. وبعد تفكير انكمش واستطال عزم على السفر الى المجلة ذاتها ، وهناك ادرك ببساطة ان زيارة واحدة لا تكفي .

ــ صباح الخير ..

ــ .....

ــ اظنك تتذكر قصتي التي وعد رئيس التحرير بنشرها في العدد الماضي ، ثم ارجأها للعدد المقبل .

ــ اي قصة تعني ، انني لا اكاد اتذكر .

ــ قصة « الاماني الذبيحة » التي بعثت بها للمجلة منذ ..

ــ شهرين على ما اظن ، أليس كذلك ؟

ــ بل منذ عام على ما اعتقد .

ــ شهرين ، عام ، كلها مسائل نسبية .

ــ معك حق ، ولكنني اظن انها ستنشر كما وعد رئيس التحرير في العدد المقبل ، الا ترى ذلك ؟

ــ السر في ذلك عند الله والسيد رئيس التحرير .

ــ ولكنك سكرتير التحرير ، وامام ناظريك وعدني رئيس التحرير بنشرها بعد ان امتدح موضوعها ، وراقه اسلوبها .

ــ لم اقل لا ، ولكن اغراء الاعلان الذي يدفع يفوق الرغبة في نشر قصة تكلف مالا ، ولا يقرأها احد ..

ــ ولكن رغبتي في نشر قصتي ، لا اقصد بها ادنى مقابل .

ــ ربما تكن هذه رغبتك ، لكن للمجلة رغبات اخرى .

ــ ماذا تعني ؟

ــ اعني ان قصتك بكل الاسف لن تنشر في عدد المجلة المقبل ، الاوراق

الأماني الذبيحة

بقلم محمد السيد سالم

●

امامي تقول ذلك بوضوح .

ــ لماذا ؟

ــ السر كما قلت لك عند الله ، ورئيس التحرير .

ــ ما دام الامر كذلك ، هل يمكن ان تسمح لي بمقابلة رئيس التحرير .

ــ غدا ان امكن .



ــ ارجوك ان تدعني اقابله اليوم ، لانني كما تعلم اتي اليكم من بعيد وزيارتي لكم تكلفني الكثير ، وقد سبق ان شرحت لك كل شيء .

ــ قلوبنا معكم والله يرعاكم .

اخيرا ، وبعد انتظار ممض امام الباب الكبير الذي تكسوه القطيفة الخضراء ، ويعلوه مصباح انطفأ بعد ان ظل يلتهب باللون الاحمر قرابة ساعتين ، مما احال المكان حوله الى ارهاب خفي وسكون قاتم ، سمح له سكرتير التحرير باشارة من اصابعه بالدخول .

تحرك الشاب بلا همة نحو الباب الكبير وهو يحس بعظام قدميه تنصهر وبشيء يتقلص في عظام راسه وجوف صدره . وحين وصل الى الباب الذي ازدانت جوانبه بالزهور الصناعية الصفر احس بهيبة ثقيلة تظلله من كل الانحاء .

وبأصابعه النحيلة ، واصابعه الهامدة طرق الباب ، وما زالت شفتاه تتمتمان بالبسملة والحوقلة وما تيسر له من آية الكرسي .

ــ تفضل .

انفتح الباب ، وبعد خطوات خالها اميالا توقف حين تلقى رئيس التحرير على حين غفلة رنينا من الهاتف الوردي المجاور ، وبمجرد ان رفع السماعة انبعثت القهقهات الداوية والكلمات المرحة الصاخبة تقض مضجع الهدوء الذي كان يسود المكان منذ لحظة واحدة ، وكتمثال حجري وقف الشاب في منتصف الحجرة وقد خنقته الحيرة وجمده الارتباك .

ــ لا يمكن لناني ان تغضب من شوكت سامي ، لا يمكن ابدا .

ــ .....

ــ لا انكر اننا اتفقنا في هذه الليلة الا يصدر عدد من المجلة دون ان يحمل صورة لك ، او على الاقل خبر عنك ، لا انكر ابدا .

ــ .....

ــ كيف تفكرين هكذا يا ناني ، وانت خير من يعلم ان شوكت سامي

هو الصحفي الوحيد الصادق مع نفسه ، والملتزم دائما بكلمته .

ـ .....

ـ انها الظروف يا ناني.. ولاشيء غيرها اقسم لك .

ـ .....

ـ ها ها .. الراقصات بالفعل كثيرات ، لكنهن مهما كثرن فليس في الاوساط كلها الا فنانة واحدة في الرقص .. ها ها .. اسمها ناني .

ـ .....

ـ وهل تجرؤين على مخاصمتي بعد كل هذا الدفاع يا ناني .

ـ .....

ـ اراهن انك لا تقدرين على هجراني ، لا تقدرين ابدا .

ـ .....

ـ اقسم لك ان شوكت سامي كما هو ، والدليل على ذلك انني ومنذ اسبوع واكثر اكتب خصيصا من اجلك عدة مقالات مثيرة بعنوان « ناني .. النغم الراقص » وقد اضطرني عتابك اليوم الى كشف هذا الخبر الذي كنت اوده مفاجأة لك .

ـ .....

ـ لا .. سوف ابدا بالنشر ابتداء من العدد المقبل .. هاها .

ـ .....

ـ آه منك ايتها القطة الخبيثة .. ها ها ها .

امتقع وجه الشاب وهو يقف في حصار الموقف وقد التوت اصابعه في خفيه تحك في توتر باطن كفيه اللذين يغسلهما عرق لزج ، تبعثر في راسه كل الكلام الذي اعتنى كثيرا قبل ان يدخل برصه على لسانه وتنميقه واصبح في وقفته الباردة خليطا مشوشا بكل الالوان والظلال ، ضل تفكيره وصار يعدو باضطراب خلف الفم الذي يقهقه تحت الشارب الرفيع ويتسكع ببلادة داخل الغرفة الكبيرة الفاخرة التي يبدو فيها الثراء علامة في الستائر الحريرية المسدلة ، والمقاعد الوثيرة التي تتسمر حول المكتب الزجاجي الرائع كحراس خاشعين ، وجهاز التكييف الذي يئز في عذوبة ، ويخلق حوله نسمات رقيقة لا يحسها الا عاشق يتمدد على رمال بحر .

ـ بالطبع يا ناني سوف ازين المقالات بصورك الفاتنة ، واخبارك الملتهبة .

ـ .....

ـ غدا يا ناني سوف يكون عندك مصور خبير بالصور الفنية ، واللقطات المثيرة .

ـ .....

ـ ها ها .. سأوصيه يا ناني، ولو ان من يصورونك لا يحتاجون لوصية .. ها ها .

ـ .....

ـ لان آلات تصويرهم كما يقولون تعمل من تلقاء نفسها حين تراك يا ناني .. ها ها

ـ .....

ـ نعم بكل اسف قرات هذا المقال الذي هاجمك يا ناني في مجلة (ضوء الشمس) .

ـ .....

ـ عزمت فعلا على رد الصاع صاعين لكاتب هذا المقال، وبكل العنف الذي تعرفينه عني ، لكني بعد تفكير وجدته اتفه من ان يستحق نيل هذا الشرف ..

ـ .....

ـ انها ليست اكثر من جليطة ، ونفخة كاذبة لا تقدم ولا تؤخر .

ـ .....

ـ ليس هو وحده يا ناني ، هناك كثيرون غيره لا يعرفون غير قتل المواهب ولا يتقنون الا الخنق كل تفتح جديد .

ـ .....

ـ بالطبع هو يدرك قبل غيره ان المواهب رغما عنه لا بد وان تفرض نفسها وتحقق في النهاية المعجزات ، التجارب دائما تثبت ذلك .

ـ ها .. ها .. الم اقل لك منذ عرفتك يا ناني انك لست رائعة في الرقص فحسب بل في التفكير ايضا؟

ـ .....

ـ هاهاها .. ولكنك تعلمين انني عند هذا الحد اغرق في شبر ماء .. .. ها ها .

انتفض الشاب وهو يشعر في ورطته برعشة تداهمه داخل ثيابه ، وتحت طيات جلده ، فالكلام منذ وقوفه فوق السجادة التي غاصت به لم ينقطع .

اراد الانسحاب ، لكنه لم يعرف كيف يتخلص من هذا المازق الذي يبلل بالعرق كل جسده ، تململ في وقفته ادار وجهه كي يبدو على الاقل انه لا يسمع ما دام لا يرى ، احيانا يحدث ذلك . وعلى الفور ارتطمت انظاره المضطربة بلوحة كبيرة ملونة تحتل الحائط الايمن لفلاح يجلس وحيدا على حافة ترعة هادئة وهو ينفخ في ارغول ، وفي الخلف تتوارى من بعيد بيوت قرية وادعة تستقبل في سكون بوادر ليل رمادي ..

تأمل اللوحة ، انغمس بكيانه في خطوطها الناعمة ، وسرعان ما استلقى بخياله المكدود على حافة الترعة جوار امتداد الارغول ، وعيناه تسبحان عند السحاب الداكن الذي كان يحسه كرذاذ دمع حزين .

ـ الى اللقاء يا ناني ..

وضع السماعة مكانها وهو يغالب بقية ضحكة راحلة ، والتفت فرأى الشاب متسمرا .

ـ تفضل بالجلوس يا اخ .

جلس الشاب على حافة الكرسي الوثير ، وعيناه في خفية تثقبان الفم المطبق والشارب الدقيق ، والوجه الوردي اللامع .

ـ هل من خدمة يمكن اؤديها لك .

ـ علمت ان قصتي التي ..

.. بتر رئيس التحرير باقي الحديث الذي يصدر في فحيح حين ابتسم في هدوء متزن ومد يده الناعمة لينزع (سيجارة) من علبة ذهبية تلوى بريقها على وجهه .

ـ اي قصة تعني ؟

ـ قصة (الاماني الذبيحة) .

حبّي الغريب

★

رميت فاقصدت المرام مولعا — وجربت نزع السهم لكن تمنعا

جذبتك يا خلي ولست بنائلي — فليتك لم تفتح لسهمي موقعا

طريقة ابصاري لكل جميلة — كما لو بها حقا تعلقت مولعا

انا يا خليلي لست اعشق مرة .. — يظل شراع الحب عندي مشرعا

سواحل حبي لا حدود لافقها — فكل شراع فيه يحتل موضعا

وأُطري وأُغري بالغرام سفائني — لافخر دوما ان بشطي تهجعا

وكل اليف جئته لأودعا — ينوح ويرجو ان احن وارجعا

انا كلما جاءت الي جديدة — يصير فؤادي للالوف موسعا

واما تولت عن حياتي حبيبة — اقاسي فراغا يعتريني مفجعا

فان كنت لا ترضى الفراق فمرحبا — وإن ترضَ توجدلي بغيرك مطمعا

الرياض ــ السعودية — خالد مصباح مظلوم

وبمجرد ان استقر الاسم في اسماعه تهللت اساريره من جديد ، وعادت قهقهاته تحيل المكان الى صخب ..

ــ او لم تجد عنوانا جنائزيا غير هذا العنوان لقصتك يا صديقي ؟

ــ لم اجد غيره مناسبا لقصتي التي سبق ان اعجبتك يا سيدي ، ولهذا ارسلت لي ..

ــ اعرف ما تقول ، وآه منكم ايها الادباء المتعجلون .

ــ سبق لك يا سيدي ان وعدتني بنشرها ، بنفس عنوانها .

ــ ورغم هذا يؤسفني ان ظروف المجلة لن تسمح بنشر قصتك قبل شهرين او ثلاثة على اقل تقدير ..

ــ سيدي ..

ــ مع الف سلامة ايها الاخ الاديب .. الف سلامة .

ومضى الشاب صامتا ، وكل جسده يرتعش بعاصفة بكاء صامت .

القاهرة — محمد السيد سالم



● المجد المنحوت ـ رواية ـ تاليف عبد الحميد الانشاصي ـ ١٧٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة الثقافة والشباب في عمان بالاردن ـ مطابع دار الشعب (؟)

● الشباب ، دراسات ولقاءات ـ تاليف احمد محمد جمال ـ مصمم الغلاف هشام ابو عودة ـ منشورات المكتبة الصغيرة في الرياض الكتاب رقم ٣١ ـ مطبعة الروضة في جدة بالسعودية .

● هذه بنزرت ـ تاليف رشيد الذوادي ـ ٢٤٠ صفحة ـ منشورات جمعية صيانة مدينة بنزرت ـ طبع الشركة التونسية لفنون الرسم بتونس .

● شجرة الحلم ـ شعر ـ حسين علي محمد ـ تقديم الدكتور علي عشري زايد ـ الاخراج الفني والرسوم لفتحي احمد ـ ٧٤ صفحة ـ سلسلة كتاب المواهب رقم ٢ ـ يصدرها قطاع الاداب الهيئة العامة للفنون والاداب ـ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة) .

● رستم كيلاني لمحات من حياته وادبه ـ اعداد صبري السيد ـ مصمم الغلاف والمشرف الفني وجدي عبد المنعم ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة العالمية بالقاهرة .

● المشي على الورق ـ تاليف بطرس حبيقة ـ ١٧٢ صفحة ـ مطبعة البولسية في جونية بلبنان .

● يوميات اكرم زعيتر : الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ ـ ٦٦٠ صفحة يضاف اليها مجموعة من الصور التذكارية ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت ـ سلسلة الدراسات رقم ٥٥ ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● معجم الاخطاء الشائعة ـ تاليف محمد العدناني ـ طبعة ثانية منقحة ـ ٣٦٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة لبنان ـ طبع في لبنان ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فتح القدس ـ تاليف عجاج نويهض ـ ٨٨ صفحة ـ منشورات فلسطين المحتلة ـ (لم يذكر اسم المطبعة ولا اين صدر) .

● بروتوكولات حكماء صهيون ـ تاليف عجاج نويهض ـ الطبعة الثانية ـ المجلد الاول ، الجزء الاول والجزء الثاني ـ ٣٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات فلسطين المحتلة ـ مطابع الكرمل الحديثة (؟) ـ (لم يذكر اين صدر) .

● بروتوكولات حكماء صهيون ـ تاليف عجاج نويهض ـ الطبعة الثانية ـ المجلد الثاني ، الجزء الثالث والجز الرابع ـ ٣٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات فلسطين المحتلة ـ (لم يذكر اسم المطبعة ولا اين صدر)

● الاطباق الطائرة ، حقيقة ام خيال ، تاليف الدكتور محمد عبده يماني ـ ١٩٢ صفحة ـ مزين بالرسوم واللوحات العلمية ـ حجم كبير ـ المطابع الاهلية للاوفست في الرياض بالسعودية .

● فتاة من حائل ـ رواية سعودية ـ تاليف الدكتور محمد عبده يماني ـ ٣٦٢ صفحة ـ حجم كبير ـ المطابع الاهلية للاوفست في الرياض بالسعودية .

● اليد السفلى ـ مجموعة قصصية ـ تاليف الدكتور محمد عبده يماني ـ ٣١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ المطابع الاهلية للاوفست في الرياض بالسعودية .

● مصطلحات للارصاد الجوية ـ اعدها مجمع اللغة العربية الاردني ـ شارك في وضعها الدكتور نعمان شحادة مدير الجامعة الاردنية والدكتور علي ابراهيم عنيدة مدير ادارة الارصاد الجوية ورفيق جميل شاكر مساعد مدير ادارة الارصاد الجوية ـ ٣٨ صفحة ـ ورفيق كبير ـ منشورات مجمع اللغة العربية الاردني ـ مطبعة شوقي معيدي في عمان بالاردن .

● ذكريات صحفية خلال ٥٠ سنة ـ تاليف فايق الخوري ـ ٢١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ

● قصائد حب وغضب ـ شعر ـ ابراهيم ياسين ـ تصميم الغلاف جادو احمد ـ الخطاط : حليم ـ ٩٦ صفحة ـ مطبعة الاحسان بدمشق

● قصص عربية واساطير عجيبة ـ تاليف الدكتور داهش ـ ٢٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ دار النشر المخلق للطباعة والنشر في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● يوميات الخليل سنة ١٣٦٣ للهجرة ـ بقلم خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي ١٨٩٥ ـ ١٩٥٩ ـ شرح المخطوطة وحققها وقدم لها عدنان مردم بك ـ ٢٣٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● المسرح المردمي ، ماساة الحلاج : دراسة تحليلية لمسرحية الحلاج للشاعر المسرحي عدنان مردم بك ـ تاليف علي المصري ـ ١٦٤ صفحة ـ منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● صفحات من تاريخ الاسلام والمسلمين في بلاد السوفيات ـ تاليف الشيخ طه الولي ـ ٢٧٢ صفحة ـ مع عدة صور ـ حجم كبير ـ منشورات دار الفكر الجديد ببيروت ـ مطابع شركة تكنوبرس الحديثة لبنان .

● من اجلها ـ مجموعة شعرية ـ سلمان هادي الطعمة ـ ١١٠ صفحات ـ حجم كبير ـ ساعدت نقابة المعلمين العراقية على طبعه ـ مطبعة الارشاد في بغداد .

● سفر الجنون ـ مجموعة شعرية ـ عبد اللطيف المسلاتي ـ الغلاف والرسوم الداخلية للفنان جمعة الترهوني ـ ٩٠ صفحة ـ منشورات المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية .

● فيلسوف ـ تاليف محمد حسن فقي ـ اللوحات والغلاف من اعداد بيار صادق ـ ٨٢ صفحة ـ سلسلة المكتبة الصغيرة رقم ٣٢ ـ مطابع الروضة في جدة السعودية .

● رباعياتي ـ شعر ـ محمد سعيد العامودي ـ تقديم عبد العزيز الرفاعي ـ الغلاف واللوحات من اعداد هشام ابو عودة ـ ١١٤ صفحة ـ السلسلة الشعرية رقم ٣ ـ مطابع الروضة في جدة السعودية .

● كشاف ببيلوغرافي لمجلة الدارة من ربيع اول ١٣٩٥ حتى رجب ١٤٠٠ الموافق من مارس ١٩٧٥ حتى يونيه ١٩٨٠ ـ اعداد دارة الملك عبد العزيز بالرياض ـ ١٢٤ صفحة ـ وقسم باللغة الانجليزية في ١٨ صفحة ـ مطابع واعلانات الشريف بالرياض.

● الكتاب العربي في لبنان ـ منشورات جديدة ١٩٨٠ ـ اعداد النادي الثقافي العربي في بيروت ـ ٢١٢ صفحة ـ صدر في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .